منهج القرآن في مجادلة الخصم

بقلم

دكتور

جمال سعد محمود جمعة

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

بالكلية

تمهيد

إن العقل البشرى يتطلع دائما إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم وكتاب الله الكريم معجزة خالدة لنبى الإسلام ﷺ يحاج العقل البشرى أرقى ماوصل إليه من العلم ويتحداه إلى الأبد ، وما إن دعا البشر إلى عقيدة التوحيد حتى وقف الناس منه مواقف متباينة فكان يسلك معهم مسالك التوجيه والإرشاد ويعامل خصومه بما يتناسب وأحوالهم العلمية والاعتقادية فيجادل المشركين جدل هداية ودلالة ، بينما يجادل أهل الكتاب جدل تخطئه وإلزام لأنهم على علم ، ويأتى شديدا وقاسيا بل مصحوباً بالتهديد والوعيد عند جداله المنافقين وما ذلك إلا لأنهم كانوا أعرف الناس بلغة العرب وبما جاء به الرسول الأعظم ﷺ من السمو البيانى والأعجاز القرآنى ولكنهم تظاهروا بالإسلام وأبطنوا النفاق فكانوا أكثر الأقوام وزراً وألزمهم حجة وأحقهم بالتهديد والتقريع .

ونظرا لتنوع المناهج القرآنية فى مجادلة الخصوم تتجلى أهمية هذا البحث وأهدافه فيما يلى :

١ — أن الباحث عندما يتأمل فى حجج القرآن وبرهانه يجده واسع المجال ، فإذا به يسمح للعقل البشرى بالتفكير والتأمل ، وقد نزل القرآن بشريعة خالدة ودين عالمى سامى بشمول نظرته وقوة أدلته وشرف غايته فلا بد إذاً أن يقنع العقل البشرى ويسلك معه مسالك التوجيه والإرشاد ويقيم على كل دعوى ماينا سبها من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة، وقد تركن فى ذهنى ذلك الصراع الفكرى والمعترك العقدى بين القرآن وخصومه إذ أنهم وقفوا منه مواقف متباينة فحاولوا معارضته بالنقض والإبطال ، ووجهوا دعواهم بما لا يقبله العقل القويم والمنطق السليم ولا يتفق مع

الإيمان المستقر فى الفطر الإنسانية وكان القرآن يتصدى لكل شبهة أثارها المرتابون وكل معارضة أقامها المعاندون فيكشف النقاب عن أسرار تلك الشبهات والمعارضات، وكان له فى نقاش خصومه ومجادلتهم طرق فذة وأسلوب رصين مقنع ومنـــاهج متنوعة ولكنها ساطعة بأروع حجة وأحكم برهان .

٢ — عندما جاء القرآن الكريم معجزة خالدة لنبى الإسلام ﷺ وقف الناس منه مواقف متبـــاينة وهب الصراع الفكرى فى مختلف الإتجاهات بقصد الإساءة إلى الدين والنيل من قداسة هذا القرآن الكريم فكان لزاما علينا أن نعـــرف المنهج القرآنى الذى سلكه فى معالجته للإتجاهات البشرية وسياسته للأمة مع قيام الحجة ووضوح المحجة لنتخذ منه منهجا فى رسم السلوك فيما يشجر بيننا وبين غيرنا فى جميع الإتجاهات سواء فى ذلك الأفراد والجماعات، لاسيما أن العقل الإنسانى يتطلع دائما إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم .

وقد قسمت موضوع هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة .

أما التمهيد فقد تحدثت فيه بإيجاز عن أهمية الموضوع وأسباب اختيارى له وبيان خطة البحث .

وأما المبحث الأول: فقد وضعته بعنوان مفهوم الجدل وأقسامه وفيه تحدثت عن تعريف الجدل لغة واصطلاحا ، ثم بينت الفرق بين مصطلح الجدل والمناظرة والمكابرة عند العلماء، كما تحدثت فيه عن الجدل الممدوح والجدل المذموم فى القرآن الكريم والفرق بينهما .

أما المبحث الثانى : فقد أفردته للكلام عن علاقة الجدل بالإستدلال القرآنى وطرقه فى مجادلة الخصم ، وفيه تحدثت عن ظاهرة الجدل وأثر

الاقناع القرآنى ثم بينت علاقة الجدل بالاستدلال القرآنى ، وأخيرا تناولت نماذج من طرق الاستدلال القرآنى فى مجادلة الخصم .

أما المبحث الثالث : فقد جعلته بعنوان نماذج من الجدل القرآنى وفيه تعرضت للقضايا التالية :

(أ) الجدال فى أثبات وجود الله .

(ب) الجدال فى أثبات الوحدانية .

(ج) الجدال فى أثبات البعث والجزاء الأخروى .

وأما الخاتمة فقد بينت فيها بإيجاز أهم نتائج البحث التى أنتهيت إليها .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه الحكيم نافعا لنا وللناس جميعا وأن يلهمنا التوفيق والسداد وأن يجنبنا الزلل ويهدينا إلى سواء السبيل أنه نعم المولى ونعم النصير .

المبحث الأول

مفهوم الجدل وأقسامه

المطلب الأول

تعريف الجدل لغة واصطلاحاً

(أ) الأصل اللغوى المشتق منه كلمة «الجدل».

الجدل لغة : «هو اللدد فى الخصومة والقدرة عليها وقد جادله مجادلة وجدالا ورجل جدل ومجدل ومجدال : شديد الجدل يقال جادلت الرجل فجدلته جدلا : أى غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى فى الخصام وجادله أى خاصمه ، مجادلة وجدالا ، والاسم الجدل ، وهو شدة الخصومة»[1].

وذكر إمام الحرمين فى كتابه «الكافية فى الجدل» أن المراد بلفظ الجدل يطلق على معنيين :

المعنى الأول : الفتل والإحكام ، يقال : «جدلت الحبل» أى أحكمت فتله و «جدلت البناء» أى أحكمته ويقال : أنه يعنى الإحكام فى اللغة فكأن كل واحد من الخصمين إذا كان يكشف لصاحبه صحة كلامه بأحكامه وإسقاط كلام صاحبه سميا متجادلين .

---

(١) لسان العرب — جمال الدين ابن منظور حـ ١ ص ٥٧١ ط/ طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة/ دار المعارف .

والمعنى الثانى : يعنى الإلقاء والإسقاط على الأرض الصلبة — يقول الجوينى : «وإن قلنا إنه فى اللغة مأخوذ من الضرب بالأرض بالمصارعة يقال : جدلته فانجدل ، وتجدل ، إذا ضربته على الجدالة وهما الأرض المطمئنة الصلبة»[2] .

وقد ذكر ابن فارس فى كتابه مقاييس اللغة أن لفظ الجدل يطلق ويراد به «أستحكم الشىء فى استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام»[3] .

ويمكننا أن نستخلص مما سبق أن المعنى اللغوى للجدل يراد به الخصومة والتنازع والتدافع بين المتجادلين ويهدف إلى تحقيق الغلبة وإلحاق الهزيمة للمخالف فى المذهب والرأى .

(ب) التعريف الاصطلاحى للجدل :

الجدل اصطلاحاً : يطلق ويراد به المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ، قال ابن سينا فى «الشفاء» كتاب الجدل ما نصه : «أما المجادلة فهى مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور»[4] .

---

(١) الكافية فى الجدل إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى — تحقيق د/فوقية حسين محمود ص ٢١ — ط/ مصر .

(٢) مقاييس اللغة — أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا — تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون حـ ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى ط/ الأولى سنة ١٣٦٦ هـ .

(٣) الشفاء — كتاب الجدل — أبو الحسين بن عبد الملك ابن سينا —

وقد لا يبعد المعنى الاصطلاحى للجدل عن ذلك المعنى اللغوى ، ولقد عرض الجوينى لمعناه فى عرف علماء الأصول والفروع ، فلقد حده بعضهم بأنه دفع الخصم بحجة أو شبهة ، ومنهم من حده بتحقيق الحق وتزهيق الباطل »(١) .

وإن كان يبدو فى هذه العبارة معنى طلب الحق وتثبيته إلا أنه يمكن القول بأن المقصود بالحق هنا هو ما يختص بوجهة نظر صاحبه وعلى هذا يبقى معنى الخاصمة والمنازعة باقياً فى هذا التعريف .

وينتهى الجوينى إلى أن المعنى الصحيح للجدل فى نظره — أن يقال : « إنه إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافى بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة »(٢) .

ولعل فى تعريف الجرجانى تعبير صريح عن معنى الجدل وطبيعته فيقول : « دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة فى الحقيقة »(٣) .

وهذا يعنى المنازعة والمغالبة للخصم والزامه ومهما يكن من هذه المعانى فى الجدال والجدل فإن المقصود منها هو الخصومة والمنازعة فى البيان

= حـ ١ ص ٢٣ راجعه وقدم له د / إبراهيم مدكور تحقيق د / أحمد فؤاد الأهوانى ط/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر سنة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

(١) الكافية فى الجدل — الجوينى ص ٢١

(٢) المرجع السابق ص ٢٠ ، ٢١

(٣) التعريفات — السيد الشريف بن على الجرجانى حـ ٦٦ ط/ مصطفى الحلبى ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م .

والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم ومنه حسن ومنه قبيح كما سيأتى إن شاء الله .

وإذا كان القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية وكان المعجزة الخالدة الموجهة للأفكار والمبادىء والآراء والمعتقدات القائمة على الحجج والبراهين ، فلا غرابة أن نرى وفرة هذه الأساليب الجدلية فى كتاب الله ناطقة بالحجج الصحيحة والبراهين الواضحة .

المطلب الثانى

الفرق بين الجدل والمناظرة والمكابرة

اختلف الباحثون فى تعريف الجدل والمناظرة وبيان الفرق بينهما ، فيرى بعض الباحثين أن هناك بوناً شاسعاً بين اللفظين ، ويرى البعض الآخر أنه لا فرق بينهما ومن الباحثين الذين قالوا إن كلا من الجدل والمناظرة بمعنى واحد هو إمام الحرمين فنراه يقول : « أنه لا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل من ناحية الإصطلاح بل الفرق بينهما من ناحية اللغة لأن الجدل فى اللغة كلمة مشتقة من غير ما أشتق منه النظر الذى أشتق منه كلمة المناظرة والتى هى نوع من النظر »(١) ونشير إيجاز إلى تلك المعانى .

(ا) معنى النظر :

يذكر القاضى عبد الجبار معانى النظر فيقول «هو ما يعبر به عن الرؤية الحسية ، تقليب للحدقة الصحيحة نحو المرئى إلتماساً لرؤيته ، وقد نعبر به

(١) الكافية فى الجدل — الجوينى ص ١٧ — ٢٠

عن الرحمة والإحسان وقد نعبر به عن الانتظار وقد نعبر به عن نظر القلب .

ويحدد المقصود من نظر القلب أن حقيقة ذلك هو الفكر لأنه لا ناظر بقلبه إلا مفكراً ، ولا مفكراً إلا ناظراً بقلبه .

والفكر هو تأمل حال الشيء والتمثيل بينه وبين غيره أو متمثل حادثة غيرها وهذا ما يجده العاقل فى نفسه إذا فكر فى الدين والدنيا »[1] .

ويذكر فى موضع آخر أن النظر بالقلب له أسماء عديدة من جملتها : التفكير ، البحث ، التأمل ، والتدبير ، والرؤية وغيرها .

ويقسم نظر القلب إلى قسمين أحدهما : النظر فى أمور الدنيا كالنظر فى العلاجات والتجارات .

والثانى : النظر فى أمور الدين ، الذى ينقسم بدوره إلى قسمين :

أحدهما : النظر فى الشبه لتحل .

والثانى : النظر فى الأدلة ليتوصل بها المعرفة »[2] .

أى إن للنظر جانب دفاعى نقدى وجانب إيجابى تركيبى ، والنظر بذلك عملية استدلالية تستخدم فى إقامة الأدلة أو الرد على أدلة الخصوم ، ولقد

(١) المغنى فى أبواب العدل والتوحيد — القاضى عبد الجبار أحمد حـ ١٢ صـ ٥ نشرته وزارة الثقافة المصرية لجنة بإشراف الدكتور طه حسين ، د/ إبراهيم مدكور .

(٢) شرح الأصول الخمسة — القاضى عبد الجبار صـ ٤٥ تحقيق د/ عبد الكريم عثمان — ط / الثانية مكتبة وهبه — القاهرة ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

وحد الباقلانى بينهما فيقول : « الاستدلال والنظر فهو تقسيم المستدل وفكره فى المستدل عليه وتأمله له المطلوب به علم حقائق الأمور وقد يسمى ذلك أيضاً « دليلا ودلالة » مجازاً وأتساعاً لما بينهما من التعلق وقد تسمى العبارة المسموعة التى تنبىء عن استدلال القلب ونظره وتأمله « نظراً واستدلالاً » مجازاً واتساعاً[1] .

(ب) معنى المناظرة :

والمناظرة مأخوذة إما من النظر بمعنى أن يكون المناظران متماثلين وأنهما يتجهان نحو شىء واحداً ، ومن النظر بمعنى الأبصار أو بمعنى التفات النفس إلى المعقولات والتأمل فيها ، فكل واحد من المتناظرين يتأمل فى كل ما يوردة نظيره من دعاوى وأدلة أو بمعنى الأنتظار فكلا المتناظرين ينتظر حتى يقرر الأخر مايريد تقريره أوبمعنى المقابلة فلأن كلا الخصمين يقابل مايقرره الآخر بإبطاله[2] .

يعرف الشيخ محى الدين عبد الحميد المناظره بقوله : « هى تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما فى ظهور الحق[3] .

(١) التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى صـ ٤٠ ط / الناشر دار الفكر العربى .

(٢) الرسالة الرشيدية — عبد الرشيد الهندى — على الرسالة الشريفية فى آداب البحث والمناظرة — للجرجانى تحقيق على مصطفى الغرابى صـ ١٤ ط / مكتبة صبيح ١٩٤٩ م .

(٣) أدب البحث والمناظرة . الشيخ محى الدين عبد الحميد صـ ٦ ط / القاهرة سنة ١٩٤٨ م ط / القاهرة سنة ١٩٤٦ م .

ويعرف الجرجانى المناظرة بقوله: « توجه المتخاصمين فى النسبة بين الشيئين إظهاراً للصوب »[١].

وهذا يعنى أن المناظرة تقوم بين أثنين متخاصمين أى أن مطلب أحدهما خلاف مطلب الآخر.

والغرض من المناظرة هو الوصول إلى الصواب وهذا لا يعنى أن أن تخلو من إلزام الخصم وتغليطه إذ أن الصواب لايكون مع كلا المتناظرين بل يفترض أن يكون مع أحدهما دون الآخر، ولعل إضافة كلمة « أظهاراً للصواب » فى تعريفها هو لتميزها عن الجدل والمجادلة.

ومن الباحثين الذين وجدوا فرقاً دقيقاً بين المناظرة والجدل والمكابرة الإمام محمد أبو زهرة فنراه فى كتابه تاريخ الجدل يقوم بشرح وتوضيح لهذه الألفاظ حيث يقول « تدور على الألسنة عبارات المناظرة والجدل المكابرة، وأحياناً تطلق إحداهما فى موضع الأخرى وفى الحق أن بينها اختلافاً واضحاً فى الإصطلاح، فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب الموضوع الذى اختلف أنظار المتناقشين فيه.

والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه فى مقام الاستدلال، والمكابرة لا يكون الغرض منها إلزام الخصم ولا الوصول إلى الحق بل اجتياز المجلس والشهرة أو مطلق اللجاجة أو غير ذلك من الأغراض التى لا تغنى فى الحق فتيلا »[٢].

(١) الرسالة الرشيدية — عبد الرشيد الهندى ص ١٥
(٢) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٥ نشر وطبع دار الفكر العربى ط / الثانية ١٩٨٠ م.

ونحن نؤيد الشيخ أبو زهرة فى تفريقه بين هذه الألفاظ وإن كان الشائع بين الناس هو استعمال هذه الألفاظ على اعتبار أن بينهما ترادف، لكننا نجد أن هناك فرقاً شاسعاً بين كلا منهما، وهذا ويجد الباحث لطيفتين فى كلام العلامة المدقق الشيخ أبو زهرة عن الألفاظ فهو يقرر أن المناقشة الواحدة قد يكون فيها من الجدل والمناظرة والمكابرة بمعنى أن المناظرة قد تتحول إلى جدلا ثم مكابرة وقد يطلق الجدل ويراد به المناظرة وتطلق المناظرة ويراد بها الجدل.

يقول الشيخ أبو زهرة فى هذا المعنى « أن المناقشة قد تشتمل على كل هذه الأنواع قد يبتدىء المناقشان متناظرين طالبين للحق فينقدح فى ذهن أحدهما رأى يثبت عليه ويأخذ فى جذب خصمه إليه وإلزامه به وحينئذ تنقلب المناظرة جدلا.

وقد تدفعه اللجاجة إلى التعصب لرأيه وتأخذه العزة بالإثم تبدو له الحجج واضحة على نقيض رأيه يواجهه خصمه بالدليل تلو الدليل فلا يجد جواباً ومع ذلك يستمر فى لجاجته فينتقل الجدل إلى مكابرة وقد تشتمل المناقشة على جدل ومناظرة كأكثر المحاورات السقراطية، كان سقراط يبتدىء بمجادلة خصمه فيما يدعيه حتى يفحمه فيقنع بجهلة ثم يناقشه حتى يأخذ بيده إلى الحق، كما إن الجدل قد يطلق فى اللغة ويراد منه المناظرة[١] كقوله تعالى: «وجادلهم بالتى هى أحسن»[٢]، وقوله تعالى: « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن»[٣].

(١) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٦
(٢) سورة النحل من الآية ١٢٥
(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦

وقد تطلق المناظرة ويراد منها الجدل أو المكابرة لغة كقول الغزالى فى رسالة « أيها الولد » « أيها الولد إنى انصحك بثمانية أشياء إقبلها منى لئلا يكون عنك خصما عليك يوم القيامة تعمل منها أربعة ، وتدع منها أربعة : أما اللواتى تدع فإحداهما ألا تناظر أحداً فى مسألة ما استطعت لأن فيها آفات كثيرة فإثمها أكبر من نفعها إذ هما منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها . الخ[1] » .

والمناقشة التى تجر إلى هذه الرذائل إنما هى جدل أو مكابرة ، وإذا كان لفظ الجدل يطلق ويراد به المناظرة كما قرر القرآن الكريم ، أو قد تطلق المناظرة ويراد بها الجدل فقد نسلك فى بحثنا هذا المسلك الذى سلكه العلماء وقرره القرآن الكريم .

المطلب الثالث

الجدل الممدوح والجدل المذموم فى القرآن والفرق بينهما

وردت آيات فى القرآن الكريم يأمر الله فيها نبيه بالمجادلة بالتى هى أحسن يقول تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[2] ، ويقول تعالى مخاطباً الدعاة والمصلحين فى شأن أهل الكتاب والدعوة إلى مجادلتهم بالتى هى أحسن « ولاتجادلوا

(١) رسالة أيها الولد — رسالة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالى — للإمام (الغزالى) أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ص ١٦٤ ط/ دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥

أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن »[1] ونحن نفهم من هاتين الآيتين أن الجدل بالتى هى أحسن أمر ممدوح مقبول إذ لولا ذلك لما أرشد الله نبيه إليه ، ولما قرره القرآن الكريم والدارس لآيات القرآن الكريم والمتدبر لها يلاحظ أن هناك آيات أخرى تدعو إلى ذم الجدل والابتعاد عنه كقوله تعالى : « ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا »[2] .

وقوله : « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق »[3] ، وقوله تعالى : « ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوماً خصمون »[4] ، فنحن نفهم من هذه هذه الآيات الكريمة أن الجدل بالباطل لدحض الحق وهدمه أمر مذموم رفضه القرآن الكريم وبينه للناس ، فرق بين الجدل من أجل نصرة الحق ، والدعوة إليه واعتبره أمراً حسناً وممدوحاً وبين الجدل من أجل نصرة الباطل وهدم الحق إذا تقرر هذا وهو متقرر بالفعل فنقول إن السبب لوضع هذا العنوان فى موضوع البحث هو مارأيته من آيات قرآنية تدعو إلى الجدل وأخرى تدعو إلى ذمه وقد يتبادر إلى أذهان البعض أن دعوى القرآن الكريم إلى الجدل أمر على أطلاقه ، والدعوة إلى ذم الجدل أمر على أطلاقه أيضاً ، لكن الباحث المنصف إذا تفحص الأمر يجد أن الدعوى إلى الجدل أو ذمه أمر ليس على أطلاقه ، أضف إلى ذلك أن الجدل سلاح ذو حدين وقد اشتبه الأمر على قوم قصرت علومهم وندت أفهامهم فذهبوا ينكرون الجدال والمناظرة ويرون ذلك من الأمور الدخيلة على الإسلام والمسلمين فجنى هؤلاء على الإسلام من حيث لا يشعرون إذ لم يحرروا أقوالهم ، ويفرقوا بين ما يبيحه الشرع ،

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٦
(٢) سورة غافر الآية ٤
(٣) سورة غافر الآية ٥
(٤) سورة الزخرف الآية ٥٨

وما يمنعه وما تتقضيه ضرورة البلاغ لرسالة الله تعالى والدفاع عنها من الحجه والبرهان ، وبين مايكون فضولا من القول ورجماً بالغيب وخوضاً فى لجج الباطل بينما يقابل هؤلاء قوم أفرطوا فى الجدال والمناظرة فى الدين واطلقوا العنان للعقول دون قيود أو حدود واعتبروا العقل هو الوكيل الأولى التى تبنى عليها الأحكام ويتفرع عنها الحكم على كل قوله أياً كان مصدره وهؤلاء قد حكموا للعقل بالعصمه من الخطأ ، وقدموا أدلته على أدلة الشرع ، وإنما جاء الشرع بالأدلة السمعيه والعقليه ولم يجعل بينهما تناقضاً .

والشرع فى الحقيقه هو عصمه العقل من الخطأ كما أشار إلى ذلك صاحب « تفصل النشأتين »[1] لأن العقول مهما بلغت من الإدراك فطاقتها محدودة ، وهى عاجزة عن أقتحام متاهات الغيب التى لا يعلمها إلا الله ، وهناك حقائق ثابته كوجود الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ولكن العقل عاجز عن إدراك كنهها ، فليس لنا أن نجعل العقل مهيمناً على نصوص الشريعه ينسخ منها ما يريد ، ويفسر مالا يدرك حقيقة كنهه ، ولكننا نستخدم العقل فى التمييز بين الحق والباطل ، ونعمله فى جميع شئون الحياة نتأمل به فى خلق الله وبدائع صنعه ، ونسلك به الطريق المستقيم مستنيرين بنور الوحى وهو فى النبوة . علماً بأن العقل السليم لا يخالف النصوص الصحيحه التى جاء بها الشرع ، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيميه كتابه « درء تعارض العقل والنقل » المسمى « موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول » وتحدث عن هذا بما لا مزيد عليه ، وقصارى القول أن إنكار الجدال وذمه مطلقاً فيه تعسف ومكابرة للحق والواقع

(١) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين — الراغب الأصفهانى ص ٤١ — ٤٤ المطبوع ضمن سلسلة الثقافه الإسلاميه التى كان يشرف على أصدارها الأستاذ عبد الله السمان المجموعه الثالثه ١٣١٠هـ — ١٩٦١ م .

وقبوله والدعوة إليه مطلقاً فيه أيضاً تعسف ومكابرة ، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنه تأمر بالجدل ، وأخرى تنهى ، فعلمنا يقيناً أن الجدل الذى تأمر به هذه النصوص غير الجدل الذى تنهى عنه ، لأن نصوص القرآن الكريم ونصوص السنه الصحيحه لا تتعارض فى حقيقه الأمر ، وإذاً فما هو الجدل الذى تأمر به هذه النصوص وتدعو إليه ؟ وما هو الجدل الذى تنهى عنه وتذمه ؟ للإجابة على هذا السؤال يمكننا أن نقول أن الجدل ينقسم إلى قسمين جدل ممدوح ، وجدل مذموم وسنوضح كلا النوعين فيما يلى .

(ا) الجدل الممدوح :

إن الجدل الممدوح هو الجدل الذى يؤيد الحق ويفضى إليه ويدعو إلى الخير بنيه خالصه وطريق صحيح .

ونحن إذا ما أحصينا آيات القرآن الكريم وذهبنا نذكر أقوال العلماء الذين قالوا بجواز الجدل فهذا عملا يخرجنا عن حد الأختصار المفيد ولكننا يمكننا أن نستشهد ببعض آيات وردت فى الذكر الحكيم كنماذج نستدل بها على جواز الجدل ومدحه لنصرة الحق ودفع الباطل .

(ا) يقول تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وجادلهم بالتى هى أحسن »[1] ففى هذه الآية الكريمه دعوة صريحه إلى الجدال وبيان طرقه وآدابه ، ويرى بعض المتكلمين وفلاسفه المسلمين أن الطرق الثلاث المذكورة فى هذه الآية الكريمه موافقه للأصول المنطقيه وهى البرهان والخطابة والجدل ، وقد ذكر ابن رشد « أن أدلة

(١) سورة النحل — الآية : ١٢٥ .

القرآن من قبيل الأدلة الجدليه والخطابيه ، وقال أن أكثرها خطابي وبعضها جدلي قصد منه الإلزام والإفحام»[١] .

يقول الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية « واعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لابد وأن تكون مبنيه على حجه وبينه ، والمقصود من ذكر الحجه إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد فى قلوب المستمعين . وإما أن يكون المقصود الزام والخصم وإفحامه .

أما القسم الأول : فينقسم إلى قسمين لأن الحجه إما أن تكون حجه حقيقيه يقينيه قطعيه مبرأة عن أحتمال النقيض ، وإما أن لا تكون كذلك ، بل تكون حجه تفيد الظن الظاهر ، والإقناع الكامل فظهر بهذا التقسيم إنحصار الحجج فى هذه الأقسام الثلاثة .

أولها : الحجه القطعيه المفيدة للعقائد اليقينيه وذلك هو المسمى بالحكم ، وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات وهى التى قال الله فى صفتها « ومن يؤت الحكمه فقد أوتى خيراً كثيراً »[٢] .

وثانيها : الأمارات الظنيه والدلائل الإقناعيه وهى الموعظه الحسنة .

وثالثها : الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم وذلك هو الجدل ثم هذا الجدل على قسمين :

القسم الأول : أن يكون دليلا مركباً من مقدمات مسلمه

(١) فصل المقال : فيما بين الحكمه والشريعه من الإتصال — محمد بن أحمد بن رشد — ص ٢٣ — ٢٤ بتصرف ط / العربيه ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

(٢) سورة البقرة — الآية ٢٦٩

فى المشهور عند الجمهور أو من مقدمات مسلمة عند ذلك القائل ، وهذا هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن .

والقسم الثانى : أن يكون ذلك الدليل مركباً من مقدمات باطلة فاسدة، إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب والحيل الباطلة ، والطرق الفاسدة وهذا القسم لايليق بأهل الفضل، إنما اللائق بهم هو القسم الأول ، وذلك هو المراد بقوله تعالى « وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فثبت بما ذكرنا أنحصار الدلائل والحجج فى هذه الأقسام الثلاثة المذكورة فى هذه الآية »[١] .

ويرفض شيخ الإسلام ابن يتمية أن تكون الطرق الثلاث المذكورة فى الآية موافقة للأصول المنطقية أعنى البرهان والخطابة والجدل ، ويعلل ذلك بأن الخطابة عند المناطقة ماكانت مقدماتها مشهورة سواء أكانت علماً مجرداً ، أم علماً يقينياً ، ويرى أن الوعظ فى القرآن هو الأمر والنهى والترغيب والترهيب كقوله تعالى « ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً »[٢] .

فقوله (مايوعظون به) أى يؤمرون به ، وقال تعالى « يعظكم الله أن تعودا لمثله أبداً أن كنتم مؤمنين »[٣] أى ينهاكم .

(١) التفسير الكبير — الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الرازى م ١٠ ج ١٩ ص ١١١ ط / دار الكتب العلمية بيروت لبنان / الأولى سنة ١٤١١ هـ سنة ١٩٩٠ م .

(٢) سورة النساء الآية ٦٦ .

(٣) سورة النور الآية ١٧ .

« والحق أن أسلوب القرآن أسمى من الخطابه وأسمى من المنطق ، فبينما تراه قد أعتمد فى مسائله على الأمر المحسوس أو الأمور البدهية التى لايجارى فيها عاقل ولا يشك فيها إنسان تراه قد تحال من بعض قيود المنطق التى تتعلق بالأقيسة وأخاطها ، والقضايا وأشكالها من غير أن يخل ذلك بدقة التصوير وإحكام التحقيق وصدق كل ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج فى أحكام العقل وثمرات المنطق ولهذا نحن لانعد أسلوب القرآن الكريم منطقاً وإن كان فيه صدقه وتحقيقة وهو إلى الإسلوب الخطابى أقرب ، وإن كان كله حقاً لاريب فيه لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وإنك لترى كثيراً من أوصاف الأسلوب الخطابى قد أتى القرآن الكريم فيها بالمثل الكامل ، فتصريف فنون القول من استفهام إلى تقرير إلى أخبار قد نحا فيه القرآن الكريم مناحى تعلو على قدر البشر ، وكثير من أشكال الأقيسة الخطابية تراه قد استعمل فى القرآن الكريم على مثال أكمل مما أستعمل فى الخطابة »[1] .

ويرى ابن تيمية رحمه الله أن الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأما الجدل فلا يدعى به وإنما يكون من باب دفع المعارضة ، ولهذا يقول : « إن للإنسان ثلاثة أحوال : إما أن يعرف الحق ويعمل به وإما أن يعرفه ولا يعمل به ، وإما أن يجحده ، فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به .

والثانى : أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به .

والثالث : من لا يعرفه بل يعارضه ، فصاحب الحال الأول هو الذى يدعى بالحكمة ، فإن الحكمة هى العلم بالحق والعمل به والأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به فيدعى بالحكمة .

(١) تاريخ الجدل — الإمام أبو زهرة ص ٦٣ — ٦٤

والثانى من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة ، والنفس لها أهواء تدعوها إلى خلاف الحق وان عرفته ، وعامة الناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنة وإلى الحكمة فلابد من الدعوة بهذا وهذا ، وأما الجدال فلا يدعى به بل من باب دفع المعارضة فإذا عارض الحق معارض جودل بالتى هى أحسن ولهذا قال « وجادلهم » فجعله فعلا مأموراً به مع قوله « أدع » فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره أن يجادل بالتى هى أحسن ، وقال فى الجدال « بالتى هى أحسن » ولم يقل بالحسن ، كما قال فى الموعظة لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتى هى أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل ، فمادام الرجل مستعداً للحكمة أو الموعظة الحسنة أو هما معاً لم يحتج إلى مجادلة ، فإذا مانع جودل بالتى هى أحسن ؛ ويرى ابن تيمية أن الجدل يفيد فى بيان خطأ الخصم ولكن لابد أن تكون المجادل بعلم كما أن الحكمة بعلم لهذا يقول « والمجادلة بعلم كما أن الحكمة بعلم ، وقد ذم الله من يجادل بغير علم فقال تعالى « ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم »[1] والله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم أن لم تكن علماً ؛ فلو قدر أنه قال باطلا فالله تعالى لم يامر أن يحتج عليه بالباطل ، لكن هذا قد يفعل لبيان فساد قوله وبيان تناقضه لا لبيان الدعوة إلى القول الحق ، وهدف القرآن بيان الحق ودعوة العباد إليه ، وليس المقصود ذكر ما تناقضوا فيه من أقوالهم ليبين خطأ أحدهما لا بعينه ؛ فالمقدمة الجدلية التى ليست علماً هذه فائدتها وهذا يصلح لبيان خطأ الناس مجملا »[2] .

(١) سورة آل عمران الآية ٦٦ .

(٢) الرد على المنطقيين — ابن تيمية ص ٤٦٧ — ٤٦٨ ط / بومباى — الهند سنة ١٩٤٩ م

وعلى هذا فليس الغرض من الجدل فى القرآن الكريم وهو مجرد إفحام الخصم وإلزامه وإبطال أقواله بل الأخذ بيد المجادل وإرشاده إلى الحقيقة وتوجيه نظره إلى حقائق الأشياء ومافى الكون من عبر ودلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته وأنها الأدلة القوية على وجوده تعالى ووحدانيته ، والإيمان بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر والآيات فى ذلك تند عن الحصر .

« والجدال بالتى هى أحسن يكون بالطريقة التى هى أحسن يكون بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تخنيف »[1] .

« كما أن الجدال بما هو أحسن يتيح للإنسان فرصة التأمل ويجعله بعيداً عن الانفعال مما يحول دون ادراك الحق والمعاندة والمكابرة ، والخصومات ، والجدال بالتى هى أحسن يعتمد على اللين والمحبة كأساس للصراع الفكرى بعيداً عن العنف الذى يعتمد على مواجهة الخصم بأشد الكلمات والأساليب وأقساها دون مراعاة لمشاعره وعواطفه ودراسة واقع حياته والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها ، بل الأمر ربما يكون على العكس من ذلك تحد للمشاعر فى كل المجالات »[2]

٢ — وقال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم »[3] .

---

(١) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل — الزمخشرى حـ ٢ صـ ٥٠٢ ط / الاستقامة بالقاهرة ط / الثانية ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م .

(٢) الحوار فى القرآن — د / محمد حسين فضل الله حـ ١ ص ٥٢ ط / قسطنطينية الجزائر ١٣٦٩ هـ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

ووجه الدلالة أن الله تعالى أمر بالمجادلة لأهل الكتاب بالرفق واللين والإنصاف وترك التعسف والبذاءة والاستطالة إلا ان بدأمنهم شىء من ذلك فإنه يعارض بما يفحمه ويلجم خصومته .

يقول صاحب الكشاف فى تفسيره لهذه الآية « بالتى هى أحسن » بالخصلة التى هى أحسن : وهى مقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم كما قال «أدفع بالتى هى أحسن » . «إلا الذين ظلموا» فأفرطوا فى الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق ، فاستعملوا معهم الغلظة وقيل : إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ وقيل : إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة ، وقيل : معناه ولا تجادلوا الداخلين فى الذمة المؤدين للجزية إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم بالسيف»[1] .

(ب) الجدل المذموم :

الجدال المذموم هو الجدال الذى يهدف إلى تأييد الباطل ونصرته وطمس الحق وتضييع معالمه ، وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل على ذم الجدل الذى يرمى إلى دحض الحق ونصرة الباطل ، ولنقرأ قوله تعالى «وجادلوا بالباطل ليدحضوا الحق»[2] ، وقوله تعالى «مايجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا»[3] .

وللإمام الرازى كلام نفيس عند تفسيره لهذه الآية نورده لتبين لنا

---

(١) تفسير الكشاف — الزمخشرى حـ ٣ صـ ٣٦

(٢) سورة غافر من الآية ٥

(٣) سورة غافر من الآية ٤

الفرق بين الجدل الممدوح ، والجدل المذموم وتعريف كل منهما فنراه يقول «وأعلم أنه تعالى لما قرر أن القرآن كتاب أنزله ليتهدى به فى الدين ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله وإخفاء أمره فقال «مايجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا» ، وعلى هذا فالجدال نوعان جـــدال فى تقرير الحق ، وجدال فى تقرير الباطل ، أما الجدال فى تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد ﷺ «وجادلهم بالتى هى أحسن»[1] ، وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام «يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا»[2] ، وأما الجدال فى تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال «مايجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا» ، وقال «ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون»[3] وقال «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق» ، وقال ﷺ «إن جدالا فى القرآن كفر»[4] ، فقوله إن جدالا على لفظ التنكير يدل على التمييز بين جدال وجدال ، وأعلم أن لفظ الجدال فى الشىء مشعر بالجدال بالباطل ، ولفظ الجدال عن الشىء

---

(١) سورة النحل — الآية ١٢٥

(٢) سورة هود — الآية ٣٢

(٣) سورة الزخرف — الآية ٥٨

(٤) أورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور حـ ٥ ص ٣٤٦ تفسير سورة غافر قوله تعالى (ما يجادل فى آيات الله) عن أبى هريرة وعزاه إلى عبد بن حمير فى مسنده عن أبى هريرة طبعة دار المعرفة بيروت لبنان .

وأخرجه أحمد فى مسنده حـ ٢ ص ٢٥٨ عن أبى هريرة بلفظ جدال فى القرآن كفر ط/ بيروت لبنان .

مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه قال ﷺ «إن جدالا فى القرآن كفر» ، وقال «لا تماروا فى القرآن فإن المراء فيه كفر»[1] ، ويضاف إليها قول الله عز وجل «ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق»[2] ، وأنت ترى فى هذا تنصيصا على ذم الجدال بالباطل ، وأن الباطل قد يظهر وتكون له صوله فما موقف الحق وأنصاره من «هذا التحدى؟ أو ليس الله تعالى يقول «بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق»[3] وبأى شىء يكون قذف الباطل ، هل يكون بالسكوت أم يكون بقوة اللسان وبالحجة والبرهان ؟

لا شك فى أن هذا هو الأصح لأن السيف مرة لنا ومرة علينا وليس البرهان كذلك .

بل هو لنا أبدا مادمنا مع الحق ، ورب قوة باليد قد دفعت بالباطل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٤ ص ١٧٠ عن أبى بن الحارث ط/ بيروت — لبنان .

— وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير حـ ٥ ص ١٥٢ عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ط/ الثانية تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد حـ ١ ص ١٥٧ كتاب العلم باب ما جاء فى المراء عن زيد بن ثابت وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى فى الكبير وقال ورجاله موثقون/ تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى — الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ط/ الثانية ١٤٠٥ هـ — ١٦٨٤

(٢) سورة الكهف الآية ٥٦

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٨

— التفسير الكبير — الإمام فخر الدين الرازى حـ ٢٧ ص ٢٦ ، ٢٧

حقا كثيرا فأزهقته كما فى مقتل عثمان رضى الله عنه ويوم الحرة ويوم مقتل الحسين وابن الزبير رضى الله عنهم وقد قتـــل من الأنبياء كثيرون وماغلبت حجتهم قط»(١).

ومن الأدلة على ذم الجدال بالباطل قوله تعالى: «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد»(٢) ويتبين لنا من الآيات السابقة أن الجدال المذموم قسمان:

١ — جدال بغير علم «ومن الناس من يجادل فى الله بين علم»:

٢ — جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق»(٣).

وعلى هذا فالجدال بالباطل لا يعتمد على الحجج القاطعة، ولا دليل يؤيده ولا يرتكز على العقل: «الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان آتاهم»(٤، ٥).

وهذا النوع من الجدل مبنى على أسباب غير موضوعية كالكبر الذى يجعل الإنسان يحس بالغبطة المفرطة ولا يرضى معها بالتنازل عما أتخذ من مواقف، ويتشبث بالقديم على مافيه من أخطاء، ويعرض عن الجديد

---

(١) الأحكام فى أصول الأحكام — ابن حزم حـ ١ ص ٢٥ بتصرف ط/العاصمة القاهرة.

(٢) سورة الحج — الآية ٣

(٣) سورة غافر الآية ٥

(٤) سورة غافر — الآية ٣٥

(٥) الجدل فى القرآن الكريم — د/ محمد التومى ص ١٧

على مافيه من صواب وقوة «إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان آتاهم أن فى صدورهم إلا كبر»(١).

وأيضا الخصام التشبثى، فالخصام فطرى فى النفس لأنه مظهر من مظاهر الدفاع عن الذات وهو بهذا دافع إيجابى حيث إنه يقتضى أن لايقبل أى جديد طارىء إلا بعد التأمل والتمحيص والتيقن من عـدم خطورته — غير أن الخصام إذا كان تعبيرا عن كبر متولد عن عقيـدة العظمة أو مترجمة لشعور بالنقص حتى لايظهر مافى الشخصية من ضعف فعندئذ يكون لجاجاً لإظهار الغلبة وذريعة للإعراض والرفض وعدم القبول «ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون»(٢، ٣).

وهناك أسباب بيئية كسيطرة العادات والرضوخ لها والاستسلام لها على ما فيها من انحرافات ويرفض البحث والنظر والتأمل ومقاومة كل جديد، وهكذا يخضع الإنسان نفسه لجبرية العادة وسلطانها مما يعوقه عن الوصول إلى الحق ويجادل جدال معاندة ومكابرة: «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون»(٤).

ولقد نهى القرآن عن الجدل من أجل الجدل، وأن يتحول الإنسان إلى شخص جدلى لا هم له فى المجال الفكرى إلا أن يتغلب على خصمه أو أن يشغل وقته فى جدل عقيم لا طائل تحته لأن ذلك يساهم فى تشويه الكيان الفكرى للإنسان ويجعله يبتعد عن الحق.

---

(١) سورة غافر — الآية ٥٦

(٢) سورة الزخرف — الآية ٥٨

(٣) الجدل فى القرآن الكريم — د/ محمد التومى ص ٢٠

(٤) سورة الزخرف — الآية ٢٢

ولقد صور القرآن الكريم لنا ذلك كله فى أكثر من آية فى نطاق حديثه عن الكافرين الذين انطلقوا بالجدل فى طريق إضاعة الفكرة وإنكار الحق مما يجعلهم ينكرون الحق وهم يرونه ويهربون من الواقع وهم يعيشون فيه ، فقد حدثنا عن المشركين فى مكة عند ما استمعوا إلى الآيات القرآنية التى تتحدث عن عيسى ابن مريم عليه السلام ، كيف كان رد فعلهم على ذلك ، وكيف واجهوه وذلك فى قوله تعالى «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا ألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل»[١، ٢] .

كذلك لم يشجع القرآن على الجدل ، فلقد جادل مخالفيه من أرباب الأديان والملل ، لكنه كان لا يمد فى حبل الجدل حرصا على الألفة ، وكثيرا ما تختم آيات الجدال بقوله تعالى «إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون»[٣] .

فالقرآن بذلك لم يشجع على الجدل فى العقائد بل عرض له للحاجة وعلى مقدارها من غير أن يشجع المسلمين على المضى فيه»[٤] .

---

(١) سورة الزخرف الآيات من ٥٧ — ٥٩

(٢) الحوار فى القرآن — د/ محمد حسين فضل ح ١ ص ٢٤

(٣) سورة الحج الآيتان ٦٨ ، ٦٩

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية — مصطفى عبد الرازق ص ١١٥ — ١١٦ — لجنة التأليف والترجمة والنشر ط / الثالثة .

المبحث الثانى

علاقة الجدل بالاستدلال القرآنى

وبيان طرقه فى مجادلة الخصم

المطلب الأول

ظاهرة الجدل وأثر الإقناع القرآنى :

تنطق شواهد الكون بعظمة خالق هذا الوجود ، وتشهد الفطرة الإنسانية السليمة بصحة ما دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام من مبادىء وأخلاق وقيم ، ومثل هذه الحقائق التى تظهر ظهور الشمس فى رابعة النهار وتلمسها المشاعر ، لا تحتاج إلى أقامة دليل عليها لأن المطالبة بإقامة الدليل على الأمور البدهية كالحسيات والمشاهدات تعتبر مكابرة ومعاندة ، ولكن من سنة الله فى خلقه أن جعل مقاييس العقول متفاوتة ونزعات النفوس متباينة ، فينتج عن تلك النزعات حوار فكرى تختلف بواعثه وأغراضه باختلاف المقامات والموارد ، وقد ذكر الله هذه الظاهرة الإنسانية فقال تعالى : «وكان الإنسان أكثر شىء جدلا»[١] .

ونفهم من هذه الآية أن الجدل طبيعة إنسانية وخاصية من خصائص الكائن البشرى الفطرية ، ولقد شرح أحد الباحثين ذلك بقوله : «ولقد فطر الإنسان على أن يواجه الحياة بكل ما فيها من أوضاع وأحداث

---

(١) سورة الكهف — الآية ٥٤

وأفكار — بعقلية متفتحة قلقة — لا تستقر على حال فتراه يفتش عن الشيء وضده، أو عن الحق والباطل ليجادل فى هذا ويحاور فى ذلك فلا يصل إلى اليقين إلا ليبدأ رحلة شك جديدة، ولا يشك إلا ليبدأ رحلته الطويلة نحو اليقين.

وهكذا تتنوع الأفكار والآراء وتختلف كل مرحلة من مراحل حياته تبعا للقضايا والمناقشات التى تثور، والآراء التى تظهر مما يجعل قضايا الفكر تتنامى وتتصاعد وتتضخم وتخلف وراءها عديدا من الأتباع والأنصار الذين يكونون فى حياة البشرية دوائر مختلفة تتميز بمميزات فكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية.

وفى ضوء ذلك كله ينشأ الجدل ويتحول إلى أسلوب من أساليب الاقناع تارة، والتبرير أخرى أو التلاعب بالألفاظ والتركيز على القوة البيانية التى تتلاعب بالمفاهيم مرة ثالثة — كل ذلك فى محاولات متنوعة تستهدف الدخول فى المعركة الفكرية والعقائدية التى تخوضها كل الأطراف لتسجل لنفسها الانتصار أو تواجه فى موقفها مرارة الهزيمة»[1].

والانسان بذلك يمتاز عن سائر الكائنات بحالة من استعدادات ذهنية وملكات إدراكية ونوازع وميول ذاتية جعلته أكثر الكائنات جدلا.

وأما هذه النزعات النفسية لا بد أن تقوم حجة الله فى أرضه وتعلو كلمته، فأنزل الله هذا القرآن هدى للناس ورحمة فكان بلسما مشافيا لتلك النزعات يضفى على النفوس المؤمنة إيمانا فى القلوب ونورا فى البصائر وهداية فى السلوك.

(١) الحوار فى القرآن د/ محمد حسين فضل الله حـ ١ صـ ٢١

ويعالج أمراً من النفوس التى ارتكست فى غياهب الظلم والشبهات بالموعظة الحسنة والدعوة الخيرة «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون»[1].

«ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما»[2]

«إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيراً»[3].

وقد سلك القرآن الكريم وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فى مخاطباته أساليب شتى وتفنن فى ضروب الهداية وطرق الاقناع، واختلاف مشارب الناس وتباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم.

وإذا أمعنت النظر فى كتاب الله وجدته يخاطب العقل والقلب معاً ويؤثر فيهما تأثيراً متلازماً يكون المخاطب إنساناً، وهذا ما يلمسه الإنسان عندما يتلو كتاب الله بتدبر وتمعن.

«الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء»[4].

وكما سلك القرآن فى أدلته طرق الاقناع والتوجيه والارشاد فإنه أتى

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٣
(٢) سورة النساء: الآية ١٤٧
(٣) سورة الاسراء: الآية ٩
(٤) سورة الزمر: الآية ٢٣

المطلب الثالث

صلة الجدل بالاستدلال القرآنى :

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين ،وقد أعجز البلغاء والفصحاء والادباء والشعراء ، والإنس والجن ، وقد سجل القرآن الكريم هذا الاعجاز وبين أنه لا يمكن لاحد معارضته فى آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى « قل لئن أجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[1] .

وقد سبق أن ذكرنا أن الجدل فى اللغة يطلق ويراد به المغالبة والإلزام ، والاستدلال القرآنى يراد منه إظهار الحق ودفع الباطل ؛ وهو يأتى عن طريق الحوار الفكرى والإلزام بطريقة الحجة والبرهان ،ويسمى الاستدلال القرآنى بالجدل لما فيه من معنى مغالبة الخصم بالحجة والبرهان .

والجدل القرآنى يستهدف تقرير الحق وأزهاق الباطل ، وإنما يتضح ذلك تماماً إذا قسمنا الادلة القرآنية إلى قسمين ، وكما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبى فى موافقاته فقال :« إن الادلة الشرعية ضربان :

احدهما : أن يكون على طريقة البرهان العقلى فيستدل به على المطلوب الذى جعل دليلا عليه وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين وهو فى أول الامر موضوع لذلك ، وتدخل هنا جميع البراهين العقلية وما جرى مجراها كقولة تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »[2] .

(١) سورة الإسراء — الآية ٨٨.
(٢) سورة الانبياء من الآية ٢٢

وقوله « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين »[1]

وهذا الضرب يستدل به على الموافق والمخالف لانه معلوم عند من له عقل فلا يقتصر به على الموافق فى النحلة :

وثانيهما : مبنى على الموافقة فى النحلة ، وذلك مثل الادلة الدالة على الاحكام التكليفية كدلالة الاوامر والنواهى على الطلب من المكلف ، ودلالة « كتب عليكم القصاص فى القتلى » و « كتب عليكم الصيام » و « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم »[2] .

فإن هذه النصوص وأمثالها لم توضع وضع البراهين ، ولا أتى بها فى على الاستدلال بل جىء بها قضايا مسلمه متلقاة بالقبول ، وإنما برهانها فى الحقيقة المعجزة الدالة على صدق الرسول ﷺ الآتى بها ،وإذا ثبت برهان بالضرب الاول أخذ الدليل أنشائياً كأنه هو واضعة ،وإذا استدل بالضرب الثانى أخذه معنى مسلماً لفهم مقتضاه الزاماً والتزاماً ،فإذا أطلق لفظ الدليل على الضربين فهو نوع من اشتراك اللفظ لان الدليل بالمعنى الاول، خلافه بالمعنى الثانى فهو بالمعنى الاول جاء على الاصطلاح المشهور عند العلماء وبالمعنى الثانى فنتيجة أنتجها المعجزة فصارت قولا مقبولا »[3] .

والضرب الاول من الضربين اللذين ذكرهما الشاطبى آنفاً هو الذى سنتحدث عنه من أدلة القرآن لانه مشتمل على الجدال بالاخذ والرد ، النقض والإبطال والمعارضة فيحاج العقل البشرى بأروع حجة وأحكم برهان .

(١) سورة النحل، الإية ١٠٣
(٢) سورة البقرة ، الآيات ١٧٨ ، ١٧٣ ، ١٨٧
(٣) الموافقات ، للشاطبى حـ ٢ ص ٣٢ ، ٣٣ نقلا عن مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر عواض الالمعى ص ٦٦ - ٦٧

المطلب الثالث

صلة الجدل بالاستدلال القرآنى :

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، وقد أعجز البلغاء والفصحاء والادباء والشعراء ، والإنس والجن ، وقد سجل القرآن الكريم هذا الاعجاز وبين أنه لا يمكن لاحد معارضته فى آيات عديدة نذكر منها قوله تعالى « قل لئن أجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[1] .

وقد سبق أن ذكرنا أن الجدل فى اللغة يطلق ويراد به المغالبة والإلزام ، والاستدلال القرآنى يراد منه إظهار الحق ودفع الباطل ؛ وهو يأتى عن طريق الحوار الفكرى والإلزام بطريقة الحجة والبرهان ، ويسمى الاستدلال القرآنى بالجدل لما فيه من معنى مغالبة الخصم بالحجة والبرهان .

والجدل القرآنى يستهدف تقرير الحق وأزهاق الباطل ، وإنما يتضح ذلك تماماً إذا قسمنا الادلة القرآنية إلى قسمين ، وكما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبى فى موافقاته فقال : « إن الادلة الشرعية ضربان :

احدهما : أن يكون على طريقة البرهان العقلى فيستدل به على المطلوب الذى جعل دليلا عليه وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين وهو فى أول الامر موضوع لذلك ، وتدخل هنا جميع البراهين العقلية وما جرى مجراها كقولة تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »[2] .

(١) سورة الإسراء — الآية ٨٨

(٢) سورة الانبياء من الآية ٢٢

وقوله « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين »[1]

وهذا الضرب يستدل به على الموافق والمخالف لانه معلوم عند من له عقل فلا يقتصر به على الموافق فى النحلة :

وثانيهما : مبنى على الموافقة فى النحلة ، وذلك مثل الادلة الدالة على الاحكام التكليفية كدلالة الاوامر والنواهى على الطلب من المكلف ، ودلالة « كتب عليكم القصاص فى القتلى » و « كتب عليكم الصيام » و « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم »[2] .

فإن هذه النصوص وأمثالها لم توضع وضع البراهين ، ولا أتى بها فى على الاستدلال بل جيء بها قضايا مسلمه متلقاة بالقبول ، وإنما برهانها فى الحقيقة المعجزة الدالة على صدق الرسول ﷺ الآتى بها ، وإذا ثبت برهان بالضرب الاول أخذ الدليل أنشائياً كأنه هو واضعة ، وإذا استدل بالضرب الثانى أخذه معنى مسلماً لفهم مقتضاه الزاماً والتزاماً ، فإذا أطلق لفظ الدليل على الضربين فهو نوع من اشتراك اللفظ لان الدليل بالمعنى الاول ، خلافه بالمعنى الثانى فهو بالمعنى الاول جاء على الاصطلاح المشهور عند العلماء وبالمعنى الثانى فنتيجة أنتجتها المعجزة فصارت قولا مقبولا »[3] .

والضرب الاول من الضربين اللذين ذكرهما الشاطبى آنفاً هو الذى سنتحدث عنه من أدلة القرآن لانه مشتمل على الجدال بالاخذ والرد ، النقض والإبطال والمعارضة فيحاج العقل البشرى بأروع حجة وأحكم برهان .

(١) سورة النحل ، الإية ١٠٣

(٢) سورة البقرة ، الآيات ١٧٨ ، ١٧٣ ، ١٨٧

(٣) الموافقات ، للشاطبى حـ ٢ ص ٣٢ ، ٣٣ نقلا عن مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر عواض الالمعى ص ٦٦ - ٦٧

المطلب الرابع

طرق الاستدلال القرآنى فى مجادلة الخصم

تمهيـــد :

لقد جادل النبى ﷺ المشركين واليهود والنصارى وغيرهم ، وكان المنبع الذى يستقى منه النبى ﷺ حججه لإثبات دعواه ، هو القرآن الكريم فكلما أوردوا إعتراضاً نزل فى الرد عليهم قرآن كريم فيتلوه عليهم النبى ﷺ ويعلن لهم به وضح الحق إن كانوا له طالبين ، ويرد كيدهم فى نحورهم إن كانوا معاندين مستكبرين ، وفى الحق أن كتاب الله فوق أنه معجزة النبى ﷺ الكبرى ، وفوق أنه مشتمل على أكثر الأجوبة عن الأسئلة التى أعترض بها المشركون وغيرهم على الإسلام ، هو فوق هذا وذاك المثل الكامل الذى لا يتسامى إلى بيانه متكلم أو محتج ، ولا يعادل أساليب احتجاجه واستدلاله مستدل أو مجادل ، ولقد جادل القرآن الكريم الخصوم فألجم المعاندين وألزم المنكرين وأرشد المترددين الشاكين وأقنعهم بالدليل القطعى بصحة ما يدعو إليه ، وقد نهج القرآن فى رده على الخصوم مناهج متعددة ، وجادلهم بالمنع والنقض والمعارضة .

فقد ذكر العلماء طرقاً من الجدل القرآنى كالإمام السيوطى فى كتابه « الإتقان » والإمام عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلى فى كتابه « استخراج الجدال من القرآن الكريم » ، والشيخ أبو زهرة فى كتابه « تاريخ الجدل » وغيرهم من العلماء الذين تحدثوا عن جدل القرآن .

وسنورد هنا نماذج من طرق الاستدلال القرآنى فى الرد فى الخصوم .

١ — الأقيسة الإضمارية :

هى الأقيسة التى تحذف فيها إحدى المقدمات وهى شائعة الاستعمال فى الاستدلال الخطابى[١] ، — يقول ابن سينا « الخطابة معولة على الضمير والتمثيل فأما الضمير فيقصد به القياس الإضمارى ، وأما التمثيل فهو إلحاق أمر بأمر لجامع بينهما ويسمى هذا فى عرف الفقهاء قياساً بينما يسمى فى عرف المناطقة تمثيلا »[٢] .

وإن الناظر فى أدلة القرآن الكريم والمستقرى لها يرى أن أكثرها قد حذفت فيه إحدى المقدمات ويقول الإمام الغزالى « إن القرآن مبناه الحذف والإيجاز أى فى شكل الأقيسة »[٣] يقول الله تعالى فى الرد على النصارى فى زعمهم أن عيسى ابن الله لأنه خلق من غير أب .

يقول تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين »[٤] .

ولا شك أن المثل الذى ساقه الغزالى ، واضح فيه حذف إحدى المقدمات ، وواضح المقايسة بين خلق آدم عليه السلام وخلق عيسى عليه السلام ، وأنه إذا كان الخلق من غير أب مبرراً لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مبرراً لاتخاذ آدم إلهاً ، ولا أحد يقول ذلك .

---

(١) تاريخ الجدل الشيخ محمد أبو زهرة ص ٦٤

(٢) الشفاء — ابن سينا ج ٤ ص ١٦، ١٧ مراجعة د / إبراهيم مدكور تحقيق سعيد زايد .

(٣) المعجزة الكبرى — القرآن — الإمام محمد أبو زهرة ص ٣٤٢ ط / ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى بدون تاريخ .

(٤) سورة آل عمران الآيتان ٥٩ ، ٦٠

« وإننا نجد أنه قد حذفت مقدمة ، وبقيت واحدة وكأن سياق الدليل لو فى غير كلام الله تعالى يكون هكذا : إن آدم خلق من غير أب ولا أم، وعيسى خلق من غير أب ، فلو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك لكان آدم أولى لكن آدم ليس إبناً ولا إلهاً باعترافكم .

وإن الحذف قد صير فى الكلام طلاوة ، وأكسبه رونقاً ، وجعل الجملة مثلا مأثوراً ، يعطى حجة الرد على النصارى ، ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه ، وإنما خلق من تراب ، فلا عزة إلا لله تعالى »(١) .

٢ — القصص :

« ومن الأساليب التى أتخذها القرآن الكريم طريقاً للإقناع والتأثير القصصى وتضمين القصة الأدلة على بطلان ما يعتقد المشركون وغيرهم، وقد يكون موضوع القصص رسولا ممن يجادلهم القرآن الكريم ، إذ يدعون محاكاته فى دينه وإتباعه فى ملته فيجىء برهان الله على لسانه فيكون ذلك أكثر اجتذاباً لإفهامهم وأقوى تأثيراً فى قلوبهم»(٢) كإبراهيم وموسى عليهما السلام فإن معظم العرب كانوا يعظمون إبراهيم عليه السلام لأنهم ينتسبون إليه وكانوا يزعمون أنهم على ملته ، فإذا جاءهم الخبر عنه بأنه كان موحداً وسيق لهم ما كان يحتج به على قومه وأبيه كان ذلك مؤثراً فى قلوبهم ، ومن ذلك قوله تعالى حاكياً قول إبراهيم لأبيه ليبين له بطلان عبادة الأوثان : « واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً يا أبت إنى

(١) المعجزة الكبرى القرآن — الإمام محمد أبو زهرة ص ٣٤٢
(٢) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٥

قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً »(١) .

ونحن نرى أن الكلام فى هذه الآيات الكريمة متضمن ابطال عبادة الأوثان على أبلغ وجه إذ أنها بينت أن الأصنام لا تسمع ولا تبصر فهى دون الإنسان وكيف يعبد الإنسان ما دونه وفوق ذلك فالعبادة وعاء ، وكيف يدعو الإنسان ما لا يسمع ولا يبصر ، وإن مجىء الدليل فى ضمن خبر لرجل يعترف بفضله المجادلون يعطى الدليل قوة فوق قوته الذاتية ، إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين من جهة الدليل فى ذاته ومن جهة أن الذى قاله رجل محترم فى نظرهم يدعون هم أنهم أتباعه فهم ملزمون بقوله مأخذون برأيه »(٢) .

فقصة إبراهيم مع قومه فى إبطال عبادة الكواكب ومجادلته للنمروذ فى إثبات الوحدانية لله وقصة موسى مع فرعون وما دار بينهما من صراع انتهى بانتصار الحق على الباطل كل ذلك يجىء دليلا على صدق أنبياء الله ورسله فيما جاءوا به من دعوة للإيمان وهداية للبشرية « على أن الهدف من ذكر القصص فى القرآن هو عبرة واتعاظ لمن سلك غير سبيل الحق فى عقيدة أو عمل »(٣) قال تعالى : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »(٤) .

(١) سورة مريم — الآيات ٤١ — ٤٣
(٢) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٦
(٣) دراسات قرآنية فى العقيدة والأخلاق والإجتماع . د / سيد أحمد رمضان المسير ص ١٨ ط / المحمدية بالأزهر / القاهرة ط الاولى سنة ١٩٩٢ م .
(٤) سورة يوسف الآية ١١١

٣ — قياس الخلف :

«وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك لان النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود[١] .

وسمى هذا القياس خلفاً أى باطلا لا لأنه باطل فى نفسه بل لأنه ينتج الباطل على تقدير عدم أحقية المطلوب أو لانه يثبت المطلوب بإبطال نقيضه فكأنه يأتى مطلوبه لا على طريقة الإستقامة بل من خلفه ، ولذلك سمى مقابله وهو القياس الذى يثبت المطلوب بنفسه مباشرة بالمستقيم»[٢].

ولقد استخدمه المتكلمون فى مجادلتهم وهو يعتمد على أسلوب القسمة بأن يردد الامر بين احتمالين لا ثالث لهما فى نظر المستدل فإذا بطل أحدهما وهو ما يدعيه الخصم ثبتت دعواه هو بدون دليل آخر لان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان .

وقد يتجه إليه القرآن الكريم فى استدلاله كإثباته سبحانه وتعالى الوحدانية بقوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[٣] .

وقوله تعالى : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا »[٤] .

---

(١) تاريخ الجدل — أبو زهرة ص ٦٦

(٢) راجع فى ذلك المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم — د/عوض الله جاد حجازى ص ١٧٦ ط/دار الطباعة المحمدية ، — تيسير القواعد المنطقية (شرح للرسالة الشمسية) د/محمد شمس الدين إبراهيم ص٢٦٢ ط/ حسان ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .

(٣) سورة الانبياء — الآية ٢٢ (٤) سورة الإسراء — الآية ٤٢

وتقرير الدليل كما يسوقه علماء الكلام من غير أن يتسامى إلى مقام البيان القرآنى ، لو كان فى السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الأرادتان بين سلب وإيجاب وان هذا التنازع يؤدى إلى فسادهما لتناقض الأرادتين ، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدى إلى الفساد ، فكانت الوحدانية ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ، ويسمى علماء الكلام هذا الدليل دليل التمانع ، أى إمتنعت الأثنينيه لامتناع الفساد ، فكانت الوحدانية ، ومن قياس الخلف فى إثبات أن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى قوله تعالت كلماته : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً[١] » ، واذا ثبت أنه ليس فيه إختلاف ، ولا تضارب فى مقرواته ، ولا عباراته ، فإنه يثبت النقيض ، وهو أنه من عند الله تعالى[٢] .

فى كل هذه الآيات الكريمة قد أثبت المطلوب بإبطال نقيضه ، ونحن نرى أن حذف بعض المقدمات فى هذه الآيات يدل على كثرة الإضمار فى دلائل القرآن الكريم .

٤ — السبر والتقسيم :

« وهو باب من أبواب الجدل يتخذه المجادل حجة لإبطال كلام خصمه بأن يذكر أقسام الموضوع المجادل فيه ويبين أنه ليس من خواص واحد منها ما يوجب الدعوى التى يدعيها الخصم »[٣] .

---

(١) سورة النساء — الآية ٨٢

(٢) المعجزة الكبرى القرآن ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ٣٤٤-٣٤٥

(٣) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٧

وقد ذكر السيوطى أن من أمثلته فى القرآن الكريم قوله تعالى :

« ثمانية أزواج من الضأن إثنين ومن المعز أثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أم ما إشتملت عليه أرحام الأنثيين نبؤنى بعلم إن كنتم صادقين، ومن الإبل أثنين ومن البقر إثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أما إشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهدا إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن أفترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين »[1] .

وبين السيوطى وجه الاستدلال فقال: « إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد الله تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال : إن الخلق لله تعالى: خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى فمم جاء به تحريم ما ذكرتم ، أى ما عليه لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو أشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يدرى له علة وهو التعبدى بأن يؤخذ ذلك عن الله تعالى ، والأخذ عن الله تعالى إما بوحى وإرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه وهو معنى قوله « أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا » فهذه وجوه التحريم ثم لا تخرج عن واحد منها ، والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً ، والثانى يلزم عليه أن تكون الإناث حراماً ، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً فبطل مافعلوه من تحريم بعض فى حالة وبعض فى حالة لأن العلة على ماذكر تقتضى إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولن يدعوه ، وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبى ﷺ ، واذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه أفتراء على الله تعالى وضلال[2] .

(١) سورة الأنعام — الآيتان ١٤٣ — ١٤٤

(٢) الاتقان فى علوم القرآن — الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى حـ ٤ ص ٥٥ ط — دار التراث .

وخلاصة الاستدل على بطلان ما أدعوا من تحريم البحيرة السائبة والوصيلة والحامى الضأن والمعز والبقر، إن الله تعالى ينبههم إلى أن التحريم يكون لوصف ذاتى فى هذه المحرمات أو لوحى من الله أو أمر من رسول، وبما أنه لم يكن ثمة وصف ذاتى يقتضى التحريم فهل كان التحريم بنص من رسول أو وحى من الله أو من أين جاء هذا العلم ؟

والجواب لا شىء من ذلك سوى الافتراء على الله ، والقول عليه بلا علم « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون »[1] .

٥ — قياس التمثيل :

« ويسمى هذا النوع من الاستدلال عند علماء المنطق بالتمثيل ، ويسمى عند الفقهاء بالقياس ، وعند المتكلمين بالاستدلال بالشاهد على الغائب »[2] .

« وهو أن يقيس المستدل الامر الذى يدعيه على أمر معروف ويبين الجهة الجامعة بينهما »[3] .

ويعرفه أستاذنا الدكتور عوض الله حجازى فى مرشده السليم بتعريفين ، تعريف بحسب الفائدة ، وتعريف بحسب حقيقته فنراه يعرفه

(١) سورة النحل — الآية ١١٦

(٢) المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم — د/عوض الله حجازى ص ٢٥٢

(٣) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٨

بحسب الفائدة بقوله : « هو أن يثبت الباحث حكم جزئى معين لجزئى آخر لمشابهته له فى العلة ، أو هو الحكم على جزئى بحكم جزئى آخر لعلة بينهما — وذلك مثل : « النبيذ حرام كالخمر » ، فإننا فى هذا المثال قد حكمنا على جزئى هو النبيذ بالحرمة ، وهو حكم ثابت لجزئى آخر هو الخمر لعلة بينهما وهو الإسكار ، ويعرفه بحقيقته فيقول : التمثيل هو قول مؤلف من قضايا تشتمل على بيان مشاركة جزئى لجزئى آخر فى علة الحكم فيثبت الحكم له وذلك مثل : الارض تقبل الخرق والالتئام ، والارض جسم والسماء مثلها فى الجسمية ينتبج أن السماء تقبل الخرق والالتئام ، وينقسم التمثيل إلى قسمين : قسم مفيد لليقين ، وقسم لا يفيد اليقين .

فأما القسم الاول فيشترط لإفادته ثلاثة شروط :

١ — الجزم بكون الوصف المشترك هو العلة .

٢ — أن تكون خصوصية الاصل شرطا لثبوت الحكم له .

٣ — ألا تكون خصوصية الفرع مانعاً من ثبوت الحكم له .

ويرى العلماء أن هـذا القسم يتعذر إفادته لليقين ، لان الغالب على التمثيل أن يكون مفيداً للظن »[1] ، لكن الدارس لآيات الذكر الحكيم والمتدبر لها يرى أن التمثيل فى القرآن الكريم مفيد لليقين لان دلائل القرآن كلها دلائل قطعية يقينية « وقد سلك القرآن الكريم فى إستدلاله هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه مقرباً مابين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية ، وكثير من إستدلالات البحث تقوم على تقريب البحث وقدرة الله عليه بما يرون من إنشاء الله لذلك الكون البديع ، وخلق الإنسان

(١) المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم د / عوض الله حجازى ص ٢٥٢ — ٢٥٤ بتصرف .

وبيان أطواره من أصلاب الآباء إلى أرحام الامهات إلى أن يكون خلقاً سوياً « فتبارك الله أحسن الخالقين » ولنقرأ قوله تعالى « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم »[1] .

وقوله تعالى : أفعيينا بالخلق الاول »[2] .

نجد فى هذه الآيات الكريمة عقد المشابهة بين إبتداء الخلق وأعادته فى أبلغ تعبير وأسلم تقرير ، وأن فى هـذه الامثلة وغيرها مما إشتمل عليه القرآن الكريم قياس ما فى الغيب على الشاهد ، وقياس ما بينه الله تعالى وأوجب الإيمان به على ماهو واقع مرئى مشاهد وفيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى ، وأنه المالك لما هو واقع والقادر على ما لم يقع الآن ويقع مستقبلا كما وعد ، والله لا يخلف الميعاد »[3] .

٦ — مجاراة الخصم فى دعواه واثبات كذبه بأبطال مدعاه :

ومن أمثلة هذا المسلك ما ورد فى قوله تعالى : « قالت لهم رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أو تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان

(١) سورة يس الآيات من ٧٨ — ٨١

(٢) سورة ق — الآية ١٥

(٣) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٨

إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون »[1] ، فترى من ذلك أن الرسل سلموا بالمقدمة التى بنى عليها الأقوام رفضهم ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم « ولكن الله يمن على من يشاء » فكأنهم قالوا ماقلتموه من أننا بشر حق ولكن ما تريدون أن تبنوه عليه من إثبات أننا لسنا برسل باطل لأن الله يمن على من يشاء من عباده فلامانع من أن يمن علينا بالرسالة »[2]

ومن أمثلة هذا النوع أيضا ما سجله القرآن الكريم مصوراً دعوى اليهود بأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات قال تعالى : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون »[3] .

ومن المعلوم أن هذه الدعوى كانت فى أمر غيبى لا يثبت إلا بالوحى فكأن القرآن قال لهم دعواكم هذه مبينة على أحد افتراضين: إما أن يكون عندكم عهد من الله وبرهان على ما تقولون فيلزمكم الإدلاء به والله لايخلف عهده وإما أن يكون قولكم هذا تقولا على الله بلاعلم فتكون دعواكم خالية من الدليل ، وبما أنه لم يثبت عندكم من الله عهد فقد انتفى هذا الافتراض وثبت الافتراض الثانى وهو أن دعواكم خالية من الدليل فبطلت لخلوها من العلم والبرهان »[4] .

وهذا المسلك قد ورد فى مواضع كثيرة من آيات الذكر الحكيم والهدف منه إبطال كلام الخصم وإقامة الحجة عليه والزامه والخامة .

(١) سورة إبراهيم الآيتان ١٠ — ١١

(٢) تاريخ الجدل — الإمام محمد أبو زهرة ص ٧٣

(٣) سورة البقرة الآية ٨٠

(٤) مناهج الجدل فى القرآن د / زاهر عواض الألمعى ص ٧٤

٧ — نقض دعوى الخصم وبيان استلزامها للمحال :

النقض فى اللغة : الفك تقول نقضت الحبل إذا فككته ، وهو فى اصطلاح علماء المناظرة « ادعاء السائل بطلان دليل المعلل مع استدلاله على دعوى البطلان : إما بتخلف الدليل عن المدلول بسبب جريانه على مدعى آخر غير هذا المدعى أو استلزامه المحال أو نحو ذلك »[1] .

ويعرفه السيوطى فى إتقانه بقوله : « هو تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه »[2] .

ومن أمثلته ماورد فى قوله تعالى « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط »[3] .

ويبين الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية : « إن دخول الكفار الجنة أمر مستحيل لأنه معلق على مستحيل مثله فنراه يقول : « اعلم أن المقصود منه إتمام الكلام فى وعيد الكفار وذلك لأنه تعالى قال فى الآية المتقدمة « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ثم شرح تعالى فى هذه الآية كيفية ذلك الخلود فى حق أولئك المكذبين المستكبرين بقوله : « كذبوا بآياتنا » أى بالدلائل الدالة على المسائل التى هى أصول الدين ... » إن قال فجسم الجمل أعظم الأجسام وثقب الإبرة أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل فى تلك الثقبة الضيقة محالا ،

(١) أدب البحث والمناظرة ، الشيخ محى الدين عبد الحميد ص ١٢٣ ط / القاهرة سنة ١٩٤٨ م

(٢) الاتقان فى علوم القرآن — السيوطى ج ٤ ص ٥٧ بتصرف .

(٣) سورة الأعراف — الآية ٤٠

فلما وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان هذا شرطاً محالا وثبت فى العقول أن الموقوف على المحال محال وجب أن يكون دخولهم الجنة مأيوساً منه قطعاً »[1] .

٨ — بيان أن دعوى الخصم خالية عن الحجة وأن البرهان قام على النقيض من ذلك :

كقوله تعالى فى شأن إبراهيم عليه السلام « وحاجة قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً فلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ثم بين ذلك بقوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[2] .

فكأن إبراهيم عليه السلام قال لهم : إن المحاجة لا تقوم إلا على الحجة والبرهان ، ولم تثبتوا على مدعاكم شيئا من ذلك ، أما أنا فقد قام البرهان على هدايتى إلى طريق الحق والصواب فلم لا تقبلون الحق المؤيد بالحجة والبرهان ؟ « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه »[3] .

يقول الامام فخر الدين الرازى عند تفسيره لقوله تعالى : « وحاجه قومه . . الآية » .

« إن إبراهيم عليه السلام مما أورد عليهم الحجة المذكورة فالقوم

(١) التفسير الكبير — للإمام فخر الدين الرازى جـ١٤ ص ٦٤
(٢) سورة الأنعام — الآيات ٨٠ — ٨٢.
(٣) سورة الأنعام — الآية ٨٣.

أوردوا عليه حججاً على صحة أقوالهم تمسكوا بالتقليد كقولهم « إنا وجدنا آباءنا على أمة »[1] وكقولهم للرسول عليه السلام « أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب »[2] .

ومثل : أنهم خوفوه بأنك لما طعنت فى إلهية هذه الأصنام وقعت من جهة هذه الأصنام فى الآفات والبليات ، ونظيره ماحكاه الله تعالى فى قصة قوم هود « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء »[3] فذكروا هذا الجنس من الكلام مع إبراهيم عليه السلام فأجاب الله عن حجتهم بقوله « قال أتحاجونى فى الله وقد هدانى » يعنى لما ثبت بالدليل الموجب للهداية واليقين صحة قولى فكيف يلتفت إلى حجتكم العليلة وكلماتكم الباطلة .

وأجاب عن حجتهم الثانية وهى أنهم خوفوه بالأصنام بقوله « ولا أخاف ما تشركون به » لأن الخوف إنما يحصل ممن يقدر على النفع والضر ، والأصنام جمادات لا تقدر ولا قدرة لها على النفع والضر فكيف يحصل الخوف منها »[4] .

٩ — الاستدلال بالتعريف .

وأحياناً يستخدم القرآن الاستدلال بالتعريف ، وهو أن يأخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى وذلك بأن يتخذ المجادل من حقيقة الأصنام دليلا على أنها لا تصلح أن تكون معبوداً ، أو أن يتخذ من بيان صفات الله دليلا على أن يكون الله وحده المستحق للعبادة ، وهذا النوع

(١) سورة الزخرف — الآية ٢٣ .
(٢) سورة ص — الآية ٥ .
(٣) سورة هود — الآية ٥٤ .
(٤) التفسير الكبير — الإمام فخر الدين الرازى حـ ١٤ ص ٤٨ .

من الاستدلال موجود بكثرة فى القرآن ، نذكر على سبيل المثال ما استخدمه إبراهيم عليه السلام لإثبات أن الأصنام لا تستحق العبادة فهو يقول لأبيه « يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً »(١) . ويقول لأبيه وقومه : « ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون »(٢) . « أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم »(٣) .

« هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون »(٤) أى « هذه الجمادات لا تستحق العبادة فإن مالا يسمع شيئاً من المسموعات ولا يبصر شيئاً من المبصرات ولا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً لا يستحق العبادة »(٥) وإبراهيم عليه السلام قد اتخذ من ماهية الأصنام ومن التعريف بحقيقتها دليلا أو أدلة على عدم أمتلاكها مؤهلات الألوهية وعدم استحقاقها العبادة .

١٠ — الاستدلال بالمقابلة .

واستخدم القرآن الكريم الاستدلال بالمقابلة وهو عبارة عن مقارنة بين قضيتين أو موازنة بين شيئين لمعرفة أيهما المؤثر فى الآخر إذا كان الأمر متعلقا بالمحتاج ، والمحتاج إليه أو أيهما على حق إذا كان الموضوع يرتبط بتحديد موقع كل منهما من حيث قربه أو بعده من الخطأ والصواب من ذلك بعد عرض نعم الله على الناس فى مقام تعدد ما يوجد من دلائل كونية

(١) سورة مريم — الآية ٤٢ .
(٢) سورة الأنبياء — الآية ٥٢ .
(٣) سورة الأنبياء — الآية ٦٦ .
(٤) سورة الشعراء — الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .
(٥) الجدال فى القرآن الكريم . د / محمد التومى ص ١٦٩ ، ١٧٢ .

على وجود الله تعالى وقدرته يعقب على ذلك بقوله تعالى « أفمن يخلق كمن لا يخلق »(١) فهذه الآية تقيم مقابلة بين الله الذى خلق كل ماله تأثير مباشر على حياة الناس ومنافعهم ، وبين ما اعتقد المشركون أن له تأثيراً فى إحداث أشياء أو فى دفع أشياء يتوقع منها شر وجلب ما يرجى من خير »(٢) .

١١ — الأمثال .

وأحياناً يضرب القرآن الأمثال للناس ليتفكروا أو يستنبطوا ما يصرح به المثل أو يشير إليه وما يستفاد منه فيقول تعالى « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون »(٣) .

ويقول « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون »(٤) . وفائدة الأمثال أنها تبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه الناس فيتقبله العقل ؛ فالمعقول يستقر فى الذهن إذا صيغ فى صورة حسية قريبة الفهم فهى تكشف عن الحقائق وتعرض الغائب فى معرض الحاضر »(٥) .

١٢ — الاستدلال بالتحدى على صدق الدعوى .

سلك القرآن الكريم مسلك التحدى فى الرد على المشركين والمشككين فى دعواهم أن القرآن ليس من عند الله ، وذلك بقصد إنكار نبوة سيدنا

(١) سورة النحل — الآية ١٧ .
(٢) الجدل فى القرآن — د / محمد التومى ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٣) سورة الزمر — الآية ٢٧ .
(٤) سورة الحشر — الآية ٢١ .
(٥) مباحث فى علوم القرآن — مناع القطان ص ٢٥٠ — ٢٥٨ ط / وهبه ١٩٨١ م .

محمد ﷺ ، لكن القرآن الكريم قد رد كل مزاعمهم وافتراءاتهم أنهم وأبطلها، ويمكننا توضيح ذلك المسلك فيما يلى .

فإن الدعوى قد تكون صحيحة ظاهرة تلمسها الحواس وتستيقنها النفوس ومع ذلك تجد عند بعض الخصوم لدداً فى الخصومة ومكابرة للحق وللواقع فينهج سبيل المعارضة لكل ما خالف معتقده وهواه دون تدبر للحقائق أو نظرة عادلة لما يحف به من أمور .

ومن هذا المسلك معارضة المشركين للرسول ﷺ فى القرآن الكريم وتشكيكهم فى نسبته إلى الله تعالى ، ولقد كان موقف القرآن فى رده على هؤلاء المشركين مرتكزاً على حقيقتين :

الأولى : نقض جميع المعارضات التى أوردها المشركون وكشف ما تنطوى عليه من شبه وملابسات .

الثانية : الإستدلال بالتحدى على صدق الرسول ﷺ فيما يبلغ من رسالة الله تعالى .

ولقد أكثر المشركون الخوض فى القرآن وحاولوا معارضته بالنقض والإبطال فتارة يقولون إن الرسول ﷺ تعلمه من غلام أعجمى ، وتارة يقولون إن الرسول ﷺ جمع أخبار الأمم الماضية «وا كتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصلا »[1] .

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الافتراء بقوله: « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين »[2]

(١) سورة الفرقان — الآية ٥
(٢) سورة النحل — الآية ١٠٣

وقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون »[1] .

وقد اعتمد المشركون فى تشكيكهم فى القرآن على أمرين:

١ — أن الرسول ﷺ تعلم القرآن من معلم أعجمى .

٢ — أن هذا القرآن من وضع البشر وليس من عند الله .

وينتج عن هذين الأمرين أن محمداً ﷺ كاذب فيما يدعيه من أمر الرسالة والوحى ، وقد نقض القرآن هذه الدعوى بأمور ثلاثة:

الأمر الأول : إن هذا القرآن جاء باللغة العربية الفصحى التى لا يشكون فى أصالتها وبلاغتها التى تأخذ بالألباب ولا يعقل أن يتكلم هذا الغلام الأعجمى بمثل هذا الأسلوب الذى يعجز عن مثله أساطين الفصاحة والبيان فانتقض الأمر الأول الذى بنوا عليه دعواهم .

الأمر الثانى : أن دعواهم بأن القرآن من وضع البشر تقتضى أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله لاسيما أنهم أرباب البلاغة وملوك البيان ولكن القرآن تحداهم فى مقامات متعددة ولم يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ، وتحداهم فى سورة هود أن يأتوا بعشر سور « أم يقولون أفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات »[2] وتحداهم فى سورة يونس ، وسورة البقرة أن يأتوا بسورة من مثله « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله »[3] .

(١) سورة العنكبوت — الآية ٤٨
(٢) سورة هود — الآية ١٣
(٣) سورة البقرة — الآية ٢٣

ثم أعلن تحديه العام للثقلين الجن والإنس على أن يأتوا بمثل القرآن هذا ذكر فى سورة الإسراء بقوله: « قل لئن أجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »(١) « فإن ذكر الإجتماع والإستظهار بالغير فى مقام التحدى إنما يحسن فيما لا يكون مقدوراً للبعض ويتوهم كونه مقدوراً للكل فيقصد نفى ذلك »(٢).

الأمر الثالث : أن القرآن نزل على أمى لا يقرأ ولا يكتب إذ لو كان يقرأ ويكتب لارتاب المبطلون فى أن يكون أخذه من أهل الكتب السابقة كما يشير إليه قوله تعالى: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون »(٣).

وأيضاً لقد أتى بهذا القرآن المعجز فى سن الأربعين وهى السن التى ييأس الإنسان فيها من التعليم ولم يظهر عليه قبلها بوادر النبوغ، لا فى الشعر ولا فى الخطب ولا فى النثر، فمن شك بعد ذلك أن القرآن من عند الله فليس بعاقل »(٤).

كما يشير إليه قوله تعالى: « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله

(١) سورة الإسراء الآيه ٨٨

(٢) شرح المقاصد — سعد الدين التفتازانى جـ ٢ ص ٩٥ ط / دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧ هـ.

(٣) سورة العنكبوت — الآية ٤٨

(٤) النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام د/ محيى الدين الصافى ص ٤٢ — ٤٣ ط / دار الطباعة المحمدية ط/ الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٢ م

من تلقاء نفس إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون »(١) « وما أبدع قوله تعالى : « أفلا تعقلون » أى أفلا تستعملون عقولكم لتعلموا أن مثل هذا الكتاب العظيم ممن لم يتعلم ولم يتتلمذ ولم يطالع كتاباً ولم يمارس مجادلة إنه لا يكون إلا على سبيل الوحى والآية فى فحواها ومعناها جواب عما دسوه تحت قولهم « أئت بقرآن غير هذا أو بدله » من إضافة الإفتراء إليه ﷺ فهذا محمد قد أنقض شبابه وولى وأشرف على نهاية العقد الرابع من عمره دون أن يبدو من أمره شىء خارق أو ينم عن المألوف فى قومه إلا أشتهاره بالصدق والأمانة — وفجأة — وفى هذه الفجأة السر كل السر — إذا هذا الرجل الذى قطع ثلثى عمره هادئاً ساكناً يصبح داعية حق فيقذف بالحق الإلهى على الباطل الجاهلى فيدمغه أخذاً بيد قومه إلى حيث نور الحقيقه الكبرى »(٢).

هذه هى مناهج الإستدلال القرآنى فى مجادلة الخصم وما أردنا بذلك البيان إحصاء لطرق القرآن الكريم فى استدلاله ولا استقراء لمسالكه فى جدله، وإنما أردنا أن يرى الدارس للقرآن الكريم والمتدبر له نماذج من طرق الجدل القرآنى وكيف كانت أعلى من المنطق تدقيقاً وإن لم تتقيد بأساليب المناطقة ولا بأشكال الأقيسة ففيها التقديم والتأخير والحذف والإطناب تبعاً لحسن البيان لا تبعاً لأشكال البرهان وكانت مع ذلك أعلى من الخطابة وإن كان بيانه المثل الأعلى للخطباء — ولو أن المتكلمين الذين عنوا بإثبات العقائد والجدل فيها سلكوا مسلك القرآن الكريم وساروا فى سمته لكان علمهم أكثر

(١) سورة يونس — الآية ١٥ — ١٦

(٢) الزام القرآن للمادين والملحدين د / سيد أحمد رمضان المسير ص ٦٦ ط / دار الطباعة المحمدية ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ط / الأولى.

فائدة ولكنهم سلكوا مسلك المنطق وقيوده والبرهان وأشكاله فكان علمهم للخاصة من غير أن يفيد العامة وقد وازن الغزالى بين طريق القرآن الكريم وطريق المتكلمين فى رسالة إلجام العوام عن علم الكلام وقال فى ذلك : « أدلة القرآن الكريم مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون ، بل إن أدلة القرآن الكريم كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا »(١) .

(١) الجام العوام عن علم الكلام — رسالة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالى — ص ٨٧

المبحث الثالث

نماذج من الجدل القرآنى

المطلب الأول

الجدل فى إثبات وجود الله :

من أهم موضوعات الجدل فى القرآن الكريم موضوع إثبات وجود الله ، ووحدانيته ، ووجود الله تبارك وتعالى حقيقة لا تقبل النقاش والجدل ، لأنها ضرورة تسرى فى الأحاسيس والمشاعر وتتغلغل فى أعماق النفس الإنسانيه ومامن شك فى أن مسألة إثبات وجود الله لم تكن فى يوم من الأيام هدفاً من أهداف القرآن ، ولم تكن فى يوم من الأيام هدفاً من أهداف الرسول ﷺ ، أو أحد أصحابه وذلك: أن الإيمان بوجود الله مسألة نظرية وبديهية . ونحن هنا نسير على أنه يمكن أن يؤخذ من القرآن أدلة على وجود الله وإن لم يكن ذلك هدفاً من الأهداف القرآنية .

ونظراً لكثرة الأدلة القرآنية فى أثبات وجود الله وماتقتضيه الحال والمقام من الاختصار قدر الإمكان وعدم التطويل آثرنا أن نورد نماذج من الأدلة القرآنية فى هذا المقام لتحقيق المطلوب .

(أ) البرهان النفسى :

ومن أقوى الدلالات النفسية على وجود الله مايشير إليه القرآن أمام المقادير العليا وضرورة استلامه لها ، وذلك فى قوله تعالى : « أم للإنسان ماتمنى فلله الآخرة الأولى »(١) . « وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »(٢) :

ومن أعظم الدلالات النفسية على الألوهية أيضاً مايخبر به القرآن من تحول الإرادات الإنسانية عن أهدافها حين تنقلب كراهيتها محبة وعداوتها ألفة واستهجانها استحساناً وثورتها سكوناً ، من غير أن يكون للأسباب الطبيعية مدخل معقول فى هذا التحول ، وفى ذلك يقول الله عزوجل : « واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم »(٣) « لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم »(٤) . ويجمع ذلك كله قوله سبحانه : « وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه »(٥) .

ونحن لانجد فى أنفسنا ولا فى آية مجموعة أخرى الكائنات الفردية السبب الكافى لوجودنا ولاغايته النهائية المعقولة ، ولذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نبحث عن هذا السبب وهذه الغاية خارجاً عنا فى الوجود العام ، وما التدين إلا الاعتراف بهذه التبعية فى تسليم وخضوع هذا الشعور بالتبعية هو الأساس التجريبى للعقيدة الإلهية(٦) .

---

(١) سورة النجم الآيتان ٢٤ — ٢٥

(٢) سورة القصص الآية ٦٨ (٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣

(٤) سورة الأنفال الآية ٦٣

(٥) سورة الأنفال الآية ٢٤ — الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د / محمد عبد الله دراز ص١٧٨ الناشر مكتبة المجلد العرب القاهرة .

(٦) المرجع السابق ص ١٤٤

(ب) برهان الخلق والإبداع :

« ويسميه ابن رشد دليل الاختراع »(١) « ويقوم هذا الدليل على مقدمات بديهية تستلزم بالضرورة وجود خالق لهذا الكون وذلك حيث يثبت القرآن الدلالة الضرورية من المخلوق على الخالق ، ومن المصنوع على الصانع . ونجد هذا الاستدلال فى آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » ، ومناط البداهة والضرورة فى مبنى هذا الدليل ودلالته على وجود الخالق : أنه يقوم على مبادىء مقررة يعترف بها كل إنسان بالتفكير البسيط لوجودها فى فطرته وهى التى يرشد إليها قوله تعالى : « أم خلقوا من غير شىء ، أم هم الخالقون » فمن البين الواضح الذى لايتأتى لأحد أن ينازع فيه . أن الشىء لايمكن أن يوجد بدون علة وأن المصنوع يستلزم الصانع ومن الواضح كذلك : أن الشىء الموجود لايمكن أن يكون علة فى صياغة نفسه :

وإيضاح ذلك : أن الآية المذكورة قد أشارت إلى دليل عقلى مؤداه أن وجود الإنسان — ومثله العالم — لايخلو فى تعليلة وتفسيره من فروض ثلاثة :

إما أن يكون عن خالق أوجده وصانع أبدعه : أو يكون هو الذى أوجد نفسه ، أو يكون وجوده بدون صانع .

والفرض الثالث باطل عقلا لاستحالة وجود أثر بدون مؤثر ، وكذا

---

(١) فلسفة ابن رشد — الكشف عن مناهج الأدلة ص ٦٥

الثانى لاستلزامه كون الشىء سابقاً لنفسه متأخراً عنها فى وقت واحد وهو تناقض محال ، فتعين الفرض الأول وثبت أنه الحق وهو وجود خالق للكون والإنسان[1].

(ج) برهان العناية :

ويسمى أيضاً دليل النظام أو القصد ، أو التدبير ، أو الغاية ومؤدى هذا الدليل هو ما يشاهد فى العالم من تناسق وانسجام ومن تدبير محكم وعناية تامة بكل صغيرة وكبيرة وترابط لا انفصال له بين أجزاء العالم واجزاء وحداته أيضاً .

وقد استخدم القدماء هذا الدليل ولا يزال المحدثون يستخدمونه ويعتبره بعضهم أوضح الأدلة على وجود الله بل وأقواها وهو فى الوقت نفسه أسهلها بالنسبة للإدراك الإنسانى »[2] ، « وقال عنه ابن رشد لهذا ولدلالته على حدوث العالم ووجود الخالق معاً إنه أشرف الدلائل الدالة على وجود الصانع .

كما يقرر ابن رشد أن كلا من دليل الاختراع والعناية طريق مستقيم وقد دعا الله الناس منها إلى معرفة وجودة ونبههم على ذلك بما جعل فى

---

(١) فى العقيدة الإسلامية د/صلاح عبد العليم إبراهيم ص ٣٧ ، ٣٨ ط/ دار الطباعة المحمدية ١٤١٢ هـ — ١٩٩١ م — نقلا عن أضواء على الفلسفة اليونانية ص ٨٠ للمؤلف .

(٢) التفكير الفلسفى فى الإسلام د/ عبد الحليم محمود حـ ١ ص ٦٥ ط/ دار الكتاب اللبنانى بيروت سنة ١٩٨٢ م .

فطرهم من إدراك هذا المعنى »[1] .

ومن الآيات التى تضمنت الجمع بين دليل الخلق ودليل العناية ، قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »[2] :

وقوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون .. إلى قوله تعالى ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون »[3] .

« وهذه الادلة تكاد تتضمن كل ما عداها من أدلة قديمة كانت أو حديثة رغم اختلاف أساليب التعبير بحسب اختلاف البيئة والزمن ، إنها تتضمنها فى صورتها السهلة :

« الاثر يدل على المؤثر » ، وتتضمنها فى صورتها الكلامية « كل حادث لا بد له من محدث » وتتضمنها فى صورتها الفلسفية القديمة : الممكن والواجب .

وتتضمنها فى صورتها الفلسفية الحديثة سواء رجعنا فيها إلى شعور الوجدان أو فكرة الكمال أو غير ذلك »[4] .

---

(١) مناهج الادلة — ابن رشد ص ٦٨ بتصرف .

(٢) سورة البقرة — الآية ١٦٤

(٣) سورة الروم — الآيات ١٩ — ٢٥

(٤) التفكير الفلسفى فى الإسلام — د/ عبد الحليم محمود حـ ١ ص ٦٨

المطلب الثانى

الجدال فى إثبات وحدانية الله :

هذا المطلب له علاقة بالذى قبله لأن الأول يتعلق بالأدلة على وجود الله تعالى وهـــذا المطلب يتعلق بالأدلة على وحدانية الله تعالى وهو متضمن للأول إلزاماً والتزاماً بمعنى أن من أقر بوحدانية الله فقد اعترف بوجوده سبحانه بينما المطلب الأول يتضمن الثانى إلزاماً فقط ، فقد كان المشركون يقرون بوجود الله تعالى كما قال جل وعلا :

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم »[1] .

وقوله تعالى «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون»[2]

ولم يدخلهم إقرارهم بوجود الله فى التوحيد الذى بعث الله من أجله الرسل وهو توحيد الألوهية ولكنهم ملزمون بإقرارهم فإنه إذا ثبت أن خالق هذا الكون موجود ثبت أنه واحد «لأن الصنعة مفتقرة إلى الصانع وليست مفتقرة إلى ما زاد على الصانع فصار وجود ما زاد على الصانع جائزاً ، والجائز الوجود لا يجوز أن يكون إلهاً مبدعاً قديماً »[3] .

وإذا كان القرآن لا يجعل من أهدافه إثبات وجود الله فإنه يجعل من

---

(١) سورة الزخرف — الآية ٩١
(٢) سورة الزخرف — الآية ٨٧
(٣) استخراج الجدال من القرآن — عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلى ص ٨٣

أهدافه الكبرى إثبات التوحيد ، والإسلام هو دين التوحيد والله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له . وتتميز طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال على الوحدانية بالوضوح والقوة معاً إذ أنها تستند إلى الملاحظة والتجربة الحسية إلى جانب النظر العقلى كما أن محور الأدلة القرآنية فى عقيدة الوحدانية هو وحدانية الربوبية ، ووحدانية الألوهية فهى تتجه إلى إثبات أنه تعالى لاشريك له فى الخلق والتدبير ، كما أنه لا معبود سواه وفيما يلى عرض موجز لنماذج من أدلة القرآن على الوحدانية .

وقد سلك القرآن فى استدلاله على وحدانية الله مسلكين :

(١) المسلك الأول :

الاستدلال على ذلك بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ، ومن أبرز الأدلة فى ذلك مايسميه علماء الكلام بدليل التمانع وهو بمعنى « قياس الخلف » الذى تقدم ذكره فى طرق الاستدلال القرآنى ويتمثل هذا فى ثلاث آيات هى :

١ — قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[1] .

٢ — قوله تعالى : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا »[2] .

٣ — قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد ماكان معه من إله إذاً لذهب

---

(١) سورة الأنبياء — الآية ٢٢
(٢) سورة الإسراء — الآية ٤٢

كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون »[1] .

وقد بين التفتازانى وجه الاستدلال فى قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » كما بين العلاقة بين هذه الآية الكريمة وما يسمى ببرهان التمانع عند المتكلمين فقال « لو وجد إلهان فوقوع المقدور الذى قصداه : إما أن يكون بهما فينتفى الاستقلال ، أو بكل منهما فيلزم مقدور بين قادرين أو بأحدهما فيلزم الترجح بلا مرجح لأن نسبة المقدورات إليهما على السواء لأن القادرية بالذات والمقدورية بالإمكان » .

ثم ذكر وجهاً آخر فقال : « لو وجد إلهان بصفات الألوهية فإذا أراد أحدهما أمراً فإن لم يتمكن الآخر من إرادة ضده فعاجز إذ لا ملجئ سوى تعلق قدرة الأول وإن تمكن لزم من فرض وقوعهما إما وقوع الضدين وهو محال أولا وقوعهما وهو عجز لهما مع الاستحالة فى مثل حركة جسم وسكونه ووقوع أحدهما فقط وهو ترجح بلا مرجح مع عجز من لم يقع مراده »[2] .

ثم بين علاقة هذا البرهان بالدليل القرآنى فقال « وهذا البرهان يسمى برهان التمانع وإليه الإشارة بقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فإن أريد بالفساد عدم التكون فتقريره : أنه لو تعدد الإله لم تتكون السماء والأرض لأن تكونهما إما بمجموع القدرتين أو بكل منهما أو بإحداهما ، والكل باطل أما الأول : فلأن من شأن الإله كمال القدرة ، وأما الآخر فلما مر ، وإن أريد بالفساد الخروج عما هما عليه من النظام : فتقريره : أنه لو تعدد الإله لكان بينهما التنازع والتغالب »

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٢) شرح المقاصد — سعد الدين التفتازانى جـ ٢ ص ٤٦

وتميز صنع كل عن صنع الآخر بحكم اللزوم العادى ، فلم يحصل بين أجزاء العالم هذا الالتئام الذى باعتباره صار الكل بمنزلة شخص واحد ، ويختل الانتظام الذى به بقاء الأنواع وترتب الآثار »[1] .

هذا وقول السعد : إن المراد بالفساد عدم التكون أى عدم الوجود ولا تؤيده فيه اللغة فلم يبق إلا أن يراد به الخروج عن النظام المعهود ، وبناء على ذلك فالشق الثانى من الاستدلال المذكور هو المعتمد ، ومن الواضح أن الدليل العقلى المستنبط من الآية من القياس الشرطى المتصل ويمكن صياغته بإيجاز هكذا .

لو تعدد الإله مع الله أو بدونه لفسد العالم لكن التالى باطل بالمشاهدة لأن العالم ليس فاسداً فبطل ما أدى إليه وهو وجود إله مع الله أو بدونه وثبت أنه لا وجود إلا لله الواحد الذى أوجد هذا العالم بقدرته وحكمته .

هذا مع ملاحظة أن اللزوم فى الدليل القرآنى عقلى وليس عادياً كما ذكر السعد »[2] .

(ب) المسلك الثانى :

فى التركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان تفاهتها وأنها لا تخلق ذبابة ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرراً ولا تجلب لها نفعاً فكيف تملك لغيرها ضراً أو نفعاً ، وبيان تفاهة المشركين أيضا عندما يعبدون هذه الأوثان وأنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها

(١) المصدر السابق ص ٤٧

(٢) فى العقيدة الإسلامية د / صلاح عبد العليم إبراهيم ص ٥٤ ، ٥٥

جدل « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »(١) .

وكل الأنبياء والرسل السابقين جاءوا يقررون وحدانية الله سبحانه قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(٢) .

وبهذه الوحدانية جاء نبينا محمد ﷺ ، قال تعالى « قل إنما يوحى إلى أنما الهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون »(٣) .

المطلب الثالث

الجدل فى أثبات البعث والجزاء الأخروى

جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتهناً بما قدمت يداه فى الحياة الدنيا وبذلك عاد للإنسانية نوع من الطمأنينة إذا هى آمنت بربها وما جاءت به رسله وقدمت عملا صالحا تسعد به فى حياتها الأخرى .

وقد جاء القرآن الكريم وافياً بالأدلة والبراهين القاطعة على البعث والجزاء، وعرض ذلك فى نماذج حية وضمنها شبه المنكرين للبعث ولم يتركها تمر دون مناقشة لها بالمنطق الصحيح ، وإبطال الشبه والملابسات بالبراهين العقلية التى تنزيل فكرة الفناء الأبدى وتعيد للإنسانية طمأنينتها

(١) سورة العنكبوت الآية ٤١
(٢) الأنبياء الآية ٢٥
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٨

وتدفعها للعمل وتحى فيها آمال التسابق فى الدرجات العلا فى حياة أفضل ، وسنذكر بإيجاز شديد نماذج لشبه المنكرين للبعث والرد عليها ، كما عرضها القرآن الكريم ثم نشير فى عجالة سريعة إلى إمكان البعث ووقوعه كما بينه القرآن الكريم .

(أ) نماذج من شبهات منكرى البعث :

الشبهة الأولى :

أن تفتت العظام وتحلل الجسد إلى ذرات ترابية واختلاط هذه الذرات بعضها ببعض وضياعها فى الأرض مع ما يطرأ على الأرض من تغيرات بالأمطار والنباتات وغيرها كل ذلك موضع بعد واستغراب من الكفار(١) .

والجواب عن هذه الشبهه يكون بالإحتجاج عليهم بقدرة الله الشاملة لكل شىء وبعلمه المحيط بكل شىء وما نصبه من دلائل فى الآفاق وفى الأنفس على إمكان المعاد ، ومن هنا نعلم أن مبنى الأدلة على قاعدتين أساسيتين هما القدرة والعلم .

أما القدرة . فإن الله تعالى قادر على كل شىء وقدرته تستلزم أن يكون قادراً على جمع ما تفرق من ذرات الأجساد واعادة بنائها وتكوينها وإرسال الأرواح إليها ثم بعثها وحشرها والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ — قياس الإعادة على الأبتداء ، إما عن طريق قياس (المساواة) كما قال تعالى : « كما بدأكم تعودون »(٢) ، وكقوله تعالى « كما بدأنا أول خلق

(١) انظر فى ذلك . مناهج الجدل — زاهر عواض الألمعى ص ٣٠١ ، الزام القرآن للملحدين والملحين — د/ سيد أحمد رمضان المسير ص ٥٧
(٢) سورة الإعراف — الآية ٢٩

نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين»[1] يعنى أن الأعادة ستكون مثل الإبتداء فى قدرة الله عليها وقد حصل الإيجاد أولا فما المانع من الإعادة ثانياً، وإما عن طريق قياس (الاولى) كما قال تعالى «وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم»[2].

٢ — وأما علمه المحيط بكل شىء فإنه يستلزم أن لا يشتبه عليه أى جزء من أحد بأجزاء الآخرين لكمال علمه وإحاطته بجميع الذرات وما تحلل منها قال تعالى: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين»[3].

الشبهة الثانية:

أن الإنسان إذا مات وفارقته القوة الغاذية والنامية لا تعود إليه تلك القوة مرة أخرى.

والجواب عن هذه الشبهة: أن الأرض أشد جموداً وأكثر جموداً من الإنسان، والله تعالى ينبت فيها أنواع النباتات فتنموا وتتزايد، فكذلك الإنسان تعود إليه الحياة قال تعالى «والإرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج»[4].

ووجه الدلالة من الآية على البعث ماظهر فى الأرض من قدرة الله الخالقة وماأودع فيها من قوة قابلة لإحياء النباتات ونموها بعد مواتها مع

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٤
(٢) سورة الروم — الآية ٢٧
(٣) سورة يونس — الآية ٦١
(٤) سورة ق — الآية ٧

ما فى الأرض من الصلابه كما تقدم، وقال تعالى «ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد»[1].

وفى هذه الآية استدلال بنفس النبات حيث ينمو ويزيد فكذلك الإنسان بعد الموت ينمو ويزيد بأن يرجع الله تعالى إليه قوة النشؤ والنماء كما يعيدها إلى الأشجار بواسطة ماء السماء[2].

(ب) نماذج من منهج القرآن فى الاستدلال على إمكان البعث وتحقق وقوعه.

لقد سلك القرآن الكريم فى استدلاله على امكان البعث وتحقق وقوعه منهجاً قويماً يجمع بين مافطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس ويقع منها تحت تأثير السمع والبصر وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة وتلك طريقة تميز بها القرآن الكريم مما لا تجده فى كتب الحكمة النظرية.

وقد نهج القرآن منهجاً فريداً فى الإستدلال على البعث نعرضه فيما يلى:

١ — الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم كما أخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم: قوم موسى قال تعالى «وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»[3].

٢ — الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى، ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلى: قال تعالى: «أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن

(١) سوره ق — الآية ٩
(٢) مناهج الجدل. د/ عواض زاهر الألمعى ص ٣٠٣
(٣) سورة البقرة الآيتان ٥٥ — ٥٦

ذلك على الله يسير قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير »[1] .

ويرد القرآن الكريم على المعترضين قائلا : « أفعينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد »[2] .

٣ — الإستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان مثل السموات والأرض فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان ومن الآيات الدالة عليه ما يلى :

قوله تعالى : « وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه »[3] .

٤ — الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء . قال تعالى « أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون »[4] .

فعدل الله وحكمته وإحقاقه الحق وإبطاله الباطل كل ذلك يأبى ألا يكون هناك يوم آخر بعد نهاية الدنيا يناله فيه كل إنسان جزاءه وما يستحقه من الثواب والعقاب على ما قدم من خير أو شر .

٥ — الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم فإن النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت .

(١) سورة العنكبوت الآيتان ١٩ — ٢٠
(٢) سورة ق — الآية ١٥
(٣) سورة الإسراء الآيتان ٩٨—٩٩
(٤) سورة المؤمنون الآية ١١٥

قال تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[1] .

والمراد منه الاستدلال بحصول هذه الأحوال على صحة البعث والحشر والنشر كما ذكره الرازى وغيره »[2] .

وقد تحدث فلاسفة الإسلام عن إمكان البعث ، وأبرزوا ذلك فى دراساتهم النظرية ولكنهم يجدون بغيتهم فى القرآن الكريم بأوجز عبارة وأحكم برهان ، ولا غرابة إذا رأينا الفيلسوف الكندى متأثراً بتلك البراهين فى دراسته للتفسير من الناحية النظرية .

قال تعالى فى شأن المستبعد لبعث الأجسام وإحيائها بعد ما رمت وبليت « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم » وقال تعالى فى الرد على هذا المستبعد « قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

يقول الكندى الفيلسوف « لقد تضمنت هذه الآية أن وجود الشىء من جديد بعد وجودة السابق وتحلله ممكن بل جمع المتفرق أسهل من إيجاده أول مرة من العدم وهذه قضية عقلية ثم قال تعالى «والذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » فهذه الآية تقرر أن ظهور الشىء من نقيضه كظهور النار من الشجر الأخضر ممكن وواقع تحت ملاحظة الحواس فيمكن أن

(١) سورة الزمر — الآية ٤٢
(٢) التفسير الكبير — الإمام فخر الدين الرازى حـ ١٣ ص ١٢ بتصرف .

تدب الحياة فى الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى ، وهذا دليل ثان تضمنه الآية على إمكان البعث .

وهناك دليل ثالث مأخوذ من قوله تعالى « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » وتقرير هذا الدليل هو أن خلق الإنسان وأحياءه بعد الموت أيسر على الله تعالى من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن ، وهناك دليل رابع مأخوذ من قوله تعالى « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »[1] .

وتقريره أنه ليس هناك شيء مستحيل على قدرة الله تعالى فالخلق والفعل مهما عظم المخلوق لايحتاج من جانب الله المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان خلافاً لفعل البشر فليس هناك استبعاد للبعث الجسمانى »[2] .

---

(١) سورة يس — الآيات ٧٨—٨٢

(٢) النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام — د/ محى الدين الصافى ص ١٠٧—١٠٨

خاتمة

١ — تبين لنا من خلال البحث أن مفهوم الجدل عند علماء المناظرة يطلق ويراد به الخصومة والمنازعة فى البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم والفرق بينه وبين المناظرة ، أن المناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الحق وقد بينا أن القرآن الكريم قد استعمل الجدل بمعنى المناظرة وينقسم إلى جدل ممدوح ومذموم .

٢ — كما ثبت لنا من خلال البحث أن الجدل تارة يكون بالحق وتارة يكون بالباطل ، والحكم يدور بدوران علته فحيث وجد الجدال بالباطل كان محرماً ، وحيث وجد الحق كان مباحاً واجباً ، وذلك على حسب المقامات التى تقتضيها بواعث الجدل .

٣ — أنه لا تعارض بين النصوص القرآنية الواردة فى النهى عن الجدل والنصوص الواردة فى الأمر به ، لأننا نعلم يقيناً أن الجدل الذى أمر الله به غير الجدل الذى نهى عنه فتحمل نصوص النهى عن الجدال بالباطل ، ونصوص الأمر به على الجدال بالحق فيندفع الإشكال الذى قد يعرض لبسطاء الناس .

٤ — أن الجدال بالباطل هدم لكيان المجتمع الإنسانى ، فكم جر من الويلات والحزازات بين الأفراد والجماعات والأمم ، وكم من صراع فكرى جدلى تحول إلى صراع دموى نتيجة الخوض فى الباطل وعدم الإصغاء إلى برهان الحق ومنطق البيان .

٥ — أن البشرية كلما احتكمت فى فض منازعاتها إلى منطق الحجة

والبرهان والتزمت آداب الجدال كلما كانت أقرب إلى السمو والإنسانية مما لو لجأت إلى منطق القوة والسلاح .

٦ — ظهر لنا من خلال البحث أن القرآن الكريم قد جادل الخصوم فأفحم المعاندين وألزم المنكرين وأرشد المترددين الشاكين وأقنعهم بالدليل القطعي بصحة ما يدعو إليه وقد نهج القرآن في رده على الخصوم مناهج متعددة وجادلهم بالمنع والنقض والمعارضة .

فما أحوجنا إلى أن نقف خاشعين أمام القرآن نتعرف على منهجه في جداله مع مخالفيه ، ذلك المنهج الذي يتسم بالموضوعية وقرب المأخذ وسهولة التناول ويسر الإقناع وحجية البرهان .

والحق أن الناس لو شغلوا أنفسهم بدراسة القرآن الكريم وما فيه من استدلال لينهجوا على نهجه ويسيروا في طريقه لكان لهم من ذلك علم كثير فإن القرآن الكريم قد أشتمل على مناهج في الاستدلال والجدل والتأثير تكشف عن أدق نواميس النفس الإنسانية وتبين شيئاً كثيراً من أحوال الجماعات النفسية والفكرية ، وفيه الطب لأدوائها والعلاج الناجح لأمراضها والدواء الشافي لعللها وفي مناهجه البيانية المثل الأعلى للكلام المؤثر والحجج الدامغة .

٧ — يتميز المنهج القرآني في عرضه لأدلة إثبات وجود الله ووحدانيته وإثبات عقيدة البعث ورده على شبه المنكرين بالوضوح وتنوع مناهجه في امتناع الخصم وإلزامه أحياناً وبتوجيه نظره إلى المظاهر الدالة على قدرة الله وآياته في الأنفس وفي الآفاق احياناً أخرى إلى غير ذلك من المناهج الكثيرة التي قدرها القرآن الكريم .

أهم مراجع البحث

١ — الإتقان في علوم القرآن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط/ دار التراث .

٢ — الاحكام في أصول الأحكام الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري الأندلسي ط/ العاصمة القاهرة .

٣ — التفسير الكبير الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي ط/ دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / الأولى ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م .

٤ — التفكير الفلسفي في الإسلام د/ عبد الحليم محمود ط/دار الكتاب اللبناني /مكتبة المدرسة بيروت/لبنان سنة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

٥ — التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة الإمام أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني الناشر/ دار الفكر العربي .

٦ — الجامع العوام عن علم الكلام . رسالة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي / الإمام الغزالي ط/ دار الكتب العلمية بيروت / لبنان سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م .

٧ — أدب البحث والمناظرة . الشيخ محي الدين عبد الحميد ط/القاهرة سنة ١٩٤٨ هـ .

٨ — إلزام القرآن للملاحدين والملليين . د/ أحمد رمضان المسير ط/ دار الطباعة المحمدية ط/ الأولى سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

٩ — استخراج الجدل من القرآن الكريم . الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي ط/ الفرزدق سنة ١٩٨١ م .

١٠ — الجدل فى القرآن د/ محمد التومى ط/ الجزائر سنة ١٩٧٩ م .

١١ — الحوار فى القرآن د/ محمد حسين فضل الله ط/ قسطنطنية الجزائر سنة ١٣٦٩ هـ .

١٢ — الدر المنثور فى التفسير المأثور . السيوطى ط / دار المعرفة / بيروت/ لبنان .

١٣ الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان . د /محمد عبد الله دراز/ الناشر مكتبة المجلد العربى القاهرة .

١٤ — الرد على المنطقيين / ابن تيمية ط/بومباى الهند سنة ١٩٤٩ م .

١٥ — الرسالة الرشيدية الشريفة فى أداب البحث والمناظرة . الجرجانى/ تحقيق محمد الفوابى ط/ مكتبة صبيح ١٩٤٩م .

١٦ — الشفاء أبو على الحسين بن عبد الملك ابن سينا راجعه د/إبراهيم مدكور تحقيق د/ أحمد فؤاد الأهوانى ط/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر سنة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م .

١٧ — الفروق اللغوية أبى الهلال العسكرى ط/ القدس بالقاهرة .

١٨ — الكافية فى الجدل . إما الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى / تحقيق د/ فوقية حسن محمود ط/مصر .

١٩ — المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم . د / عوض الله جاد حجازى ط/ دار الطباعه المحمدية .

٢٠ — المعجزة الكبرى القرآن . الإمام محمد أبو زهرة ط/دار الفكر العربى .

٢١ — المعجم الكبير . الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى . تحقيق حمدى عبد المجيد السافى ط/الثانية سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

٢٢ — المغنى فى أبواب العدل والتوحيد . القاضى عبد الجبار / نشرته وزارة الثقافة المصرية لجنة بإشراف د / طه حسين ، د/ إبراهيم مدكور .

٢٣ — النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام . ا . د / محى الدين الصافى ط/دار الطباعة المحمدية ط/ الأولى ١٤٠٣ هـ—١٩٨٢ م .

٢٤ — تاريخ الجدل الإمام محمد أبو زهرة / نشر وطبع دار الفكر العربى ط / الثانية ١٩٨٠ م .

٢٥ — تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل .الزمخشرى ط/الاستقامة بالقاهرة ط/ الثانية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .

٢٦ — تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين . الراغب الأصفهانى / مطبوع ضمن سلسلة الثقافة الإسلامية التى كان يشرف على إصدارها الأستاذ عبد الله السمان المجموعة الثالثة ١٣١٠ هـ/١٩٦١ م .

٢٧ — تيسير القواعد المنطقية (شرح للرسالة الشمسية) . د/ محمد شمس الدين إبراهيم ط/حسان بالقاهرة ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م .

٢٨ — تمهيد لتاريخ الفلسفه الإسلامية . مصطفى عبد الرازق . لجنة التأليف والترجمة والنشر ط/الثالثة .

٢٩ — توضيح المنطق القديم . ا . د/محى الدين الصافى ط/الفجر الجديد سنه ١٩٨٣ م .

٣٠ — دراسات قرآنية فى العقيدة والأخلاق والإجتماع . ا . د سيد أحمد رمضان المنير ط / دار الطباعة المحمدية بالأزهر القادرة ط/ الأولى سنة ١٩٩٢ م .

٣١ — شرح الأصول الخمسة . القاضى عبد الجبار / تحقيق د/عبدالكريم عثمان ط/ الثانية مكتبة وهبة القاهرة سنة ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م .

٣٢ — شرح المقاصد . سعد الدين التفتازانى ط / دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧ هـ .

٣٣ — فلسفة ابن . الكشف عن ط / العربية سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .
مناهج الأدلة .
فصل المقال .

٣٤ — فى العقيدة الإسلامية . أ.د .صلاح عبد العليم ط / دار الطباعة المحمدية بالأزهر سنة ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .

٣٥ — لسان العرب . جمال الدين بن منظور ط / دار المعارف .

٣٦ — مباحث فى علوم القرآن . مناع قطان . ط وهبه سنة ١٩٨١ م .

٣٧ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الحافظ الهيثمى ط / القدسى بدون تاريخ .

٣٨ — مسند الإمام أحمد بن . ط / بيروت .

٣٩ — مقاييس اللغة . أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا / تحقيق عبد السلام محمد هارون ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى ط / الأولى ١٣٦٦هـ .

٤٠ — مناهج الجدل فى القرآن . د/ زاهر عواض الالمعى ط/ الفرزدق التجارية ط / الثانية ١٤٠٠ هـ .